تيسير البلاغة

تأليف

الشيخ أحمد القلاش

من علماء حلب ونزيل المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حمداً لمن خلق الإنسان ، علَّمه البيان ؛ والصلاة والسلام على إمام البلغاء سيِّد الحكماء ، أفصح من نطق بالضاد ، وهدى العباد إلى سبيل الرشاد .

وبعد ، فهذه رسالة في « تيسير البلاغة » صغير حجمها ، يسير فهمها ، تغني قارئها عن مطالعة الموسوعات ، بما حوته من أساليب الإيضاح ، وضرب الأمثال .

ولقد جعلنا أكثر أمثلتها من سيرة الرسول الأمين ﷺ ، وبطولات أصحابه الغُر الميامين ، ليمتلىء فكر الناشىء حينما يقرأ هذه الأمثال ، بإكبار هذا القائد والأشبال ؛ فعساه أن ينتفض لاستعادة مجده ، واسترداد ميراث أبيه وجدِّه ؛ والله نسأل أن ينفع بها الطلاب ، فهو خير مرجو وأكرم من أجاب .

* * *

الفصاحة

يشترط لفصاحة الكلام أن يكون جيد السبك ، سهل اللفظ ، واضح المعنى ، منسجم التركيب ، عذباً فراتاً سائغاً ، يحسن وقعه على السمع ، ويستحليه الذوق والطبع ؛ سليماً من التعقيد ، لا يخالف قواعد النحو والصرف ، لا تنافر في حروفه ، ولا غرابة في كلماته .

ثم إن علوم البلاغة جميعها إنما يراد بها تنمية الذوق الفطري وصقله وترويضه ليستطيع اللسان التعبير عن الإحساس بنواحي الجمال في الشعر والنثر الفني .

ولا يزال الموهوب الشّغوف بالأدب يدمن القراءة والاطلاع ، ويقف طويلاً أمام القطع الفنية متأثراً بها ، حتى تجتمع له ملكة يقدر بها على التعبير البليغ ، والأسلوب الساحر الأخّاذ ، فيكون قد ضم إلى ذوقه الموهوب ذوقاً مكسوباً .

إن الإحساس بجمال التعبير كالإحساس بجمال الإيقاع ، فمن لم يرزق أُذناً موسيقية لم ينفعه حفظه لأسماء الأنغام ، ولا إكثاره من بيان الأقسام ؛ كما أن من خلق أعمى لا حيلة لنا في أن يعرف الألوان .

إن كثيراً من الناس نظموا الشعر الجيد قبل أن يدرسوا العروض ، ويحفظوا البحور ، إذ ليس بحفظ الأوزان وحدها يصبح الإنسان شاعراً ، وليس كل شعر يهز الشعور ، ويحرك الوجدان .

لقد اختلف الناس في تعريف الجمال ؛ وأقرب ما عرّفوه به : أنه تناسب الأعضاء ، وحسن تركيبها .

وكما أن صور الناس متفاوتة : ما بين دميم وجميل وأجمل وبديع الجمال ، فكذلك صور الكلام تتفاوت : ما بين غث ورديء ، ومقبول ، وجميل ، وبليغ ، ومعجز .

وليحذر الأديب أن يحاكي غيره في إحساسه بما لا يجده هو في نفسه ، أو يردد كالببغاء ما لم يقتنع به ، فيفسد ذوقه ، ويكون كشريط مسجل ، لا يفقه ولا يعقل ؛ بل يلزمه أن يتعوَّد النقد الحر البريء ؛ وليكن أديباً في نقده ، نزيهاً في بحثه ، عميقاً في فكره .

* * *

البلاغة وعلومها

البلاغة لغة : الوصول والانتهاء ، والمتكلم العاجز عن إيصال كلام ينتهي إلى قرارة نفس السامع ليؤثر فيها تأثيراً شديداً لا يسمى بليغاً .

بلاغة الكلام :

أن يكون الكلام فصيحاً قوياً فنياً يترك في النفس أثراً خلاباً ، ويلائم الموطن الذي قيل فيه ، والأشخاص الذين يخاطَبون .

فلو دُعيتَ إلى صلح ، فتلوت قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ و ﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ ﴾ كنت حكيماً بليغاً .

أما لو تلوت ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾ لم تكن بليغاً ، إذ لم تلائم الموطن الذي قيلت فيه .

ولو قال أستاذ لزوجته الأمية : (ناوليني المِزْبَر من القِمَطْر) يريد القلم من المحفظة لم يكن كلامه بليغاً رغم فصاحته ، لأنه لا يلائم مستوى زوجته .

تمرين

هل تجد فيما يلي كلاماً بليغاً :

١ـ إذا أنعمت على إنسان صرت أميراً ، وإذا استغنيت عنه لم تفتقر إليه ، وإذا احتجت للناس أسروك .

٢ـ قال سيدنا علي رضي الله تعالىٰ عنه : « أحسن إلى من شئت تكن أميره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره » .

٣ـ من يَهُن يسهلِ الهوان عليه ما لجرح بميت إيلامُ

٤ـ إن الشخص المهين إذا جرحت يده لم تؤلمه .

٥ـ بقدر الجِد تكتسب المعالي ومَن طلب العُلى سهر الليالي

٦ـ عالي الهمة يبذل جهده ، ويطيل سهره وسُهْدَه

علوم البلاغة ثلاثة :

المعاني ، والبيان ، والبديع

فعلم المعاني : علم يعرف به هل طابق الكلام ما يطلبه الحال أم لم يطابق ؛ فمثلاً حال المخاطب الذكي يقتضي الاختصار ، وحال العنيد أو البليد يقتضي التطويل ، كما قيل :

تكفي اللبيب إشارة مرموزة وسِواه يُدْعَى بالنداء العالي

وقد قال الفيسلوف الكندي للمبرد : إني لأجد في كلام العرب حشواً ! ! فقال المبرد : وأين هو؟ قال : أجدهم يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله لقائم ، فالألفاظ مختلفة والمعنى واحد ، فأجاب المبرد : بل المعاني مختلفة :

فالأول : إخبار عن قيامه .

والثاني : جواب عن سؤال سائل .

والثالث : رد على منكر ، فقد اختلفت الألفاظ لاختلاف المعاني ، فسكت الكندي .

فإذا أوردنا الكلام على قياس المعنى اللازم ؛ فاختصرنا للذكي وأطلنا للغبي نكون قد وُفِقْنا للصواب في علم المعاني ؛ وإن عكسنا أخطأنا .

ترى الخياط يأخذ أولاً قياس الجسم ، ثم يقص ويخيط على حسب القياس . وكذلك البِناء تسبقه عملية الهندسة والرسم في خارطة صحيحة .

لهذا قدمنا علم المعاني في الدراسة على علم البيان ، كما تسبق عملية الهندسة عمل البنيان ، وكما يسبق القياسُ والرسمُ القصَّ والخياطة .

وعلم البيان : علم يُبحث فيه عن شكل الألفاظ من حيث تبيينها للمعاني : هل هي في صيغة الحقيقة المجردة ، أو التشبيه ، أو المجاز ، أو الكناية ، كما نرى شكل الخياطة فنعرف نوعها : من ثوب أو جبة ، أو قَباء أو معطف .

أما علم البديع : فراجع إلى تحسين اللفظ وتزيينه ، كوضع أزرار وورودٍ وزخارف لتزيين ثوب العروس بعد تمام خياطته ، وكنقوش الدّهان ، بعد تمام البنيان . ورتبته التأخير عن الكل .

* * *

تمرين

بَيِّن فيما يلي ما يخل بالبلاغة ، وضَعْ ما يناسب المقام :

١ـ هنأت صديقك بمولود ، فتلوت قوله تعالىٰ :
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾

٢ـ حَضَرْتَ تعزية ، فقلت : العقبى لكم .

٣ـ باركت لأخيك بزفافه ، فقلت : عظم الله أجركم .

٤ـ قرأت في عقد نكاح : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ﴾ أو ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ .

٥ـ أنشد منشد في زفاف قصيدة ، آخِرُها :

فليت شعري والدنيا مفرَّقة   بين الرفاق وأيامُ الورى دُوَلُ
هل ترجع الدار بعد البعد آنسةً   وهل تعود لنا أيامنا الأُوَلُ

* * *

علم المعاني

مبحث الكلام

لا بد للبليغ من التفكير أولاً في « المعاني » التي تجيش في صدره ، لتكون صادقة ذات قيمة وقوة يظهر فيها أثر الابتكار ، وسلامة النظر ، ودقة الذوق في تنسيق المعاني وحسن ترتيبها .

فإذا تم له ذلك عمد إلى «الألفاظ» الواضحة المؤثرة الملائمة فألف بينها تأليفاً يكسبها جمالاً وقوة .

فالبلاغة ليست في اللفظ وحده ، ولا في المعنى وحده ، ولكنها أثر لازم لسلامة تأليف هذين ، وحسن انسجام « الكلام » .

* * *

الكلام

أقسامه ـ ركنا الجملة ـ أقسام الخبر ـ أغراضه

أقسام الكلام

الكلام قسمان :

١ـ خبر : يصح أن يقال لقائله : إنه صادق إن كان كلامه مطابقاً للواقع ، أو كاذب إن كان غير مطابق له .

مثل : (بعت كتابي أمس بخمس)

٢ـ إنشاء : لا يصح أن يقال لقائله : إنه صادق أو كاذب .

مثل : (هل تشتري حقيبتي هذه بخمس ليرات؟)

ركنا الجملة

ثم إن لكل جملة خبرية أو إنشائية ركنين :

مسنَداً ، ومسنَداً إليه ؛ وهما « عمدة الكلام »

مثل : (فهم الطلاب) فالمسند « فهم » والمسند إليه « الطلاب »

ومثل (الدرس مفهوم) فالمسند « مفهوم » والمسند إليه « الدرس »

ومثل : (هل فهم الطلاب) فالمسند « فهم » والمسند إليه « الطلاب »

فتبين أن كل فعل « مسند » وكل فاعل « مسند إليه » ؛ وأن كل خبر « مسند » وكل مبتدأ « مسند إليه » وهكذا . . .

ومثل الفاعل نائبه فهو مسند إليه ، ومثل المبتدأ اسم كان وإنّ فهو مسند إليه ، ومثل الخبر خبر كان وإنَّ فهو مسند .

وما سوى المسند والمسند إليه يسمى « فضلة في الكلام » .

أقسام الخبر

تقول لموجه المدرسة إذا تأخرت يوماً فسألك لم تأخرت؟ :

١ـ « أنا مريض » يُقال هذا في البدء بدون تأكيد ، لأن المخاطَب خالي الذهن ويسمى : ـــــــــــــــــــــــ « ابتدائياً » .

فإذا تردد الموجه قلت :

٢ـ « إني مريض » يقال هذا له ثانياً لأن حاله من التردد يطلب التأكيد ويسمى : ـــــــــــــــــــــــ « طلبياً » .

فإذا أنكر الموجه وغضب قلت :

٣ـ « والله إني لمريض » يقال هذا له بكل ألفاظ التأكيد لأنه منكِر شديد ، ويسمى : ـــــــــــــــــــــــ « إنكارياً » .

ـ ألفاظ التوكيد ـ

من ألفاظ التأكيد : إنّ ، وأنّ ، والقسَم ، ولام الابتداء ، وقد ، وأحرف التنبيه ، ونونا التوكيد ، والحروف الزائدة ، والتكرير ، وأمّا الشرطية .

* * *

تمرين

بيِّن أقسام الخبر مما يلي :

١ـ بعث الله رسولين إلى قرية ، فقالا : أرسلنا الله إليكم ، ولما كذبوهما عزَّزهما الله بثالث ، فقالوا : ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ فأنكر القوم بشدة وعاندوا ، وقالوا : ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝١٥ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس : ١٥ـ١٦] .

٢ـ قال لبيد :

ولقـد علمـتُ لَتـأتيـنّ منيتـي ... إن المنـايـا لا تطيـش سهـامهـا

٣ـ وقال أبو الطيب :

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

وتكبرُ في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائمُ

* * *

أغراض الخبر

يريد المتكلم من خبره أحد شيئين :

أ ـ إما إفهام المخاطب أمراً يجهله ، كقولك لرفاقك : « قدم والدي من حجه ، وسأدعوكم إلى وليمة » ويسمى هذا : « فائدة الخبر »

ب ـ أو إعلام المخاطَب أن المتكلم عرف الخبر ، فإذا دعوتَ رفاقك إلا يحيى ، فقال لك يحيى معاتباً : « دعوتهم كلهم إلا أنا » كان مراده أنه عرف خبر الوليمة ، ويسمى هذا : « لازم الفائدة »

القواعد :

الأصل في الخبر أن يُلقَى لأحد غرضين :

١ـ لإفادة المخاطَب أمراً يجهله ، ويسمى ذلك : « فائدة الخبر »

٢ـ لإفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالأمر ويسمى : « لازم الفائدة »

وقد يُلقَى الخبر لأغراض أخرى تفهم من السياق ، مثل :

أ ـ الاسترحام مثل : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤]

ب ـ إظهار الضعف : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ [مريم : ٤] .

جـ ـ إظهار التحسر : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ [آل عمران : ٣٦] .

د ـ الفخر مثل :

كانت منازلُنا بالعز شامخة لا تُشرق الشمس إلا في مَغانينا

هـ ـ التعريض مثل : أنا لا أكذبُ .

تمرين

١ـ بيِّن الخبر والإنشاء مما يلي :

المجتهد ناجح ـ اجتهدْ تنجح ـ هل صليت الفجر؟ ـ

أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر والعشاء

٢ـ بيِّن المسند والمسند إليه مما يلي :

قائد القادسية سعد ـ سيد الشهداء حمزة ـ

انتصر المسلمون يوم بدر ـ جاهِدوا في سبيل الله حق جهاده

٣ـ بيِّن غرض الخبر مما يلي :

صدقة السر تطفىء غضب الرب ـ رأيتك ليلاً تتصدق على جارك ـ علمت من ينقل الآن في الفحص ـ النقل عيب وحرام .

لقد نجحتَ في الفحص ـ ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ [مريم : ٤] .

أنا البائس الفقير ـ ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ [آل عمران : ٣٦] . ـ منزلي مأوى الأضياف ـ كان فتح مكة في شهر رمضان في السنة الثامنة من الهجرة ـ مِنَّا عمر بن الخطاب الذي ملأ الدنيا عدلاً ـ ومِنّا خالد الذي فتح بسيفه البلاد شرقاً وغرباً .

ذهب الشباب فماله من عودة ـ لقد أدبّت ولدك فأحسنت ـ

أنت الذي ألقيتَ أمس خطبة رائعة ـ

إلهي عبدك العاصي أتاكا مقراً بالذنوب وقد دعاكا

مات أبي وتركني رضيعاً .

* * *

الإنشاء وأنواعه

طلبي : كالأمر والنهي ، اجتهدْ ولا تكسل .

والاستفهام ، مثل : هل فهمت الدرس؟

والتمني ، مثل : ﴿ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر : ٢٤] .

والنداء ، مثل : ﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر : ١٦] .

ففي الأمر طلب الفعل وفي النهي طلب الترك ، وفي الاستفهام طلب العلم بالشيء ، وفي التمني طلب المحبوب ، وفي النداء طلب الإقبال .

وغير طلبي : كالتعجب ، مثل : ما أنفع العلمَ!

والمدح ، مثل : ﴿ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ، جَنَّٰتُ عَدۡنٍ ﴾ [النحل : ٣٠] .

والذم ، مثل : بئس التلميذ الكسلان

والقسم ، مثل : ﴿ وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ ﴾ [يونس : ٥٣] .

وصيغ العقود ، مثل : بعتك كتابي هذا بليرة ، فتقول : اشتريت

أما هذا القسم الثاني فلا طلب فيه ، بل هو تعبير عن شعور المرء وإعجابه بشيء أو مدحه أو ذمه ، أو تعبير عن عقد بيع أو شراء أو قَسَم أو نحوها .

* * *

تمرين

بيّن نوع الإنشاء وصيغته مما يلي :

١ـ (أَحْبِبْ حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضكَ يوماً ما ، وأَبْغِضْ بغيضَك هوناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما)

٢ـ أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إنَّ شيمتك الحياءُ

٣ـ لعل عتبك محمودٌ عواقِبُه ... وربما صحت الأجسام بالعللِ

٤ـ ﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحجرات : ١١] .

٥ـ ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾ [البقرة : ٢٧١] .

٦ـ وإذا سمعتَ بهالِكٍ فتيَقّنَنْ ... إن السبيلَ سبيلُهُ وتزودِ

٧ـ لا تنه عن خلق وتأتيَ مثلَه ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

٨ـ ﴿ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب : ٦٦] .

٩ـ ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر : ٢٧] .

* * *

الأمر

معناه ـ صيغته ـ خروجه عن معناه

معناه :

معناه الأصلي : الطلب الجازم للفعل على وجه الاستعلاء

صيغته :

١ـ فعل الأمر ، مثل : اجتَهِدْ

٢ـ المضارع المقرون بلام الأمر ، مثل : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق : ٧] .

٣ـ اسم فعل الأمر ، مثل : عليكم بالجد أي : الزموه

٤ـ المصدر النائب عن فعل الأمر ، مثل: صبراً على التحصيل أي : اصبروا

خروجه عن معناه :

قد يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى معانٍ تفهم من السياق :

كالدعاء ، وهو الطلب على وجه الخضوع ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤] .

والالتماس ، وهو طلب الشخص من مثله : ساعدني في درسي(١)

---

(١) قال بعضهم :

أمر مع استعلا ، وعكسه دُعا   وفي التساوي فالتماس وقعا

والإرشاد ، وهو طلب لا على سبيل الجزم : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

والتمني ، كقول المسرور بليله : يا ليل طل

والتخيير ، كقولك لثرثار : قل خيراً وإلا فاسكت

والتسوية ، كما قال الله تعالى لأهل النار : ﴿ فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [الطور : ١٦] .

والتعجيز ، كما قال الله تعالى للكفار : ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٣] .

والتهديد ، كما قال الله تعالى للكفار : ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾ [فصلت : ٤٠] .

والإباحة ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾ [الطور : ١٩] .

والتوبيخ ، اشربِ الدخان ، وعاشر الأنذال .

* * *

تمرينات

أ- بين صيغة الأمر مما يلي :

١- ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ [النور : ٢٢] .

٢- ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ﴾ [محمد : ٤] .

٣- ﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ [الأحزاب : ١٨] .

٤- ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

٥- انتباهاً في الدرس .

ب- هل خرج الأمر عن معناه الأصلي فيما يلي ، وما نوعه؟

١- ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ [إبراهيم : ٣٠] .

٢- ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة : ٤٣] .

٣- خالط أولي الفضل أو فاعتزل .

٤- حَسِّنْ خطك .

٥- إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

٦- عليكم بالصدق .

٧- جالِسِ العلماء ، وزاحِمهم بركبتيك ، وأنصت إليهم بأذنيك .

٨- ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ﴾ [الرحمن : ٣٣] .

٩- العب واهجر الدراسة .

جـ- هات ثلاثة أمثلة : للأمر الحقيقي ، وللدعاء ، والالتماس .

النهي

معناه ـ صيغته ـ خروجه عن معناه

معناه :

هو الطلب الجازم لترك الفعل على وجه الاستعلاء .

صيغته :

واحدة ، وهي : « لا » مع فعل المضارع ، مثل : لا تكسل .

خروجه عن معناه :

قد يخرج عن معناه إلى معانٍ تفهم من سياق الكلام :

كالدعاء ، مثل : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

والالتماس ، مثل : لا تسبقني : تقوله لرفيقك .

والتمني ، مثل : لا تطلع يا صبحُ : يقوله المسرور بليله .

والإرشاد ، مثل : لا تترك كتابك مفتوحاً .

والتوبيخ ، مثل : لا تستحوا ولا تتأدبوا .

والتيئيس ، مثل : ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ [التحريم : ٧] .

والتهديد ، مثل : لا تطيعوا أمري .

والتحقير ، مثل : لا تطلب المجد ولا تهتم إلا بالأكل .

* * *

تمرين

بيّن معنى النهي فيما يلي :

١ـ لا تُجهِدْ نفسكَ فيما تعب فيه الكرام .

٢ـ ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات : ١٢] .

٣ـ لا تمزح ، فالأمة المكلومةُ لا تعرف سوى الجِدِّ .

٤ـ لا تمطري أيتها السماء فإنا مسافرون .

٥ـ لا تنس موعدنا يا أخي .

٦ـ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ [آل عمران : ٨] .

٧ـ لا تنتبهوا للدرس فقد قرب الفحص .

٨ـ دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

* * *

الاستفهام

معناه ـ أقسامه ـ أدواته ـ خروجه عن معناه

معناه الأصلي :

طلب العلم بشيء مجهول ، ويحتاج إلى جواب .

أقسامه :

١ـ طلب التصور .

٢ـ طلب التصديق ، وإليك توضيح ذلك :

جاء أخوك بصديق لهُ مثقف ، اسمه (زياد) فتم بينكما التعارف ، ثم غاب عنك .

أـ أخبرك أخوك بعدُ أنّ (زياداً) اشترى سيارة لهُ ، فأردت أن تتصوره ، فسألت أخاك : (مَن زياد؟) فقال : ذلك الشاب المثقف الذي تم بينكما التعارف معه يوم كذا وكذا ، فتذكرُك صورةَ زياد يقال له « تصور » .

ب ـ ثم أُخبِرتَ بعد ذلك أن زياداً سافر بسيارته إلى الحج ، فأردت أن تتثبّتَ من صدق ذلك ، فسألت : (أحجَّ زياد بسيارته؟) ، فلو قيل « نعم » أو « لا » كانت معرفة نسبة الحج إليه يقال لها : « تصديق »[1] .

---

(١) قال في سلم المنطق :

إدراك مفـــرد تصـــوراً علـــم ... ودرك نسبـــة بتصـــديـــق وسُـــم

أدواته :

١ـ الهمزة: وهي مشتركة بين الطلبين : التصور والتصديق (أزياد سافر أم نبيل؟) ، (أسافر زياد للحج؟)

٢ـ هل: وهي خاصة بالتصديق لا التصور للتثبت من حصول النسبة ، تقول : هل سافر زياد؟ ولا تقول : هل زياد سافر أم نبيل؟

والأدوات الآتية كلها للتصور فقط :

٣ـ ما: تستعمل لغير العقلاء ، ويطلب بها أحد شيئين :

أـ إما شرح الاسم بلفظ مرادف أظهر ، مثل : ما الكرى؟[١]

ب ـ أو بيان حقيقة المسمى ، مثل : ما الإسراف؟[٢]

٤ـ مَن: يطلب بها تعيين أحد العقلاء ، مثل : من حفظ الدرس؟

٥ـ متى: تستعمل لتعيين الزمان الماضي ، مثل : متى دخلنا المدرسة؟

أو لتعيين الزمان المستقبل ، مثل : متى ننتهي؟

٦ـ أيان: تستعمل لتعيين الزمان المستقبل خاصة بالتهويل ، مثل : ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الذاريات: ١٢] .

٧ـ كيف: تستعمل لتعيين الحال ، مثل : كيف أصبحتم!

٨ـ أين: تستعمل لتعيين المكان ، مثل : أين كنت؟

---

(١) فيجاب : النوم .

(٢) فيجاب : تجاوز الحد في النفقة .

٩ـ كم: تستعمل لتعيين العدد ، مثل : كم طلاب صفكم؟

١٠ـ أنّى: تستعمل بمعنى [كيف] ، مثل : ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ [آل عمران : ٤٠] .

وبمعنى [مِن أين] ، مثل : ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران : ٣٧] .

وبمعنى [متى] ، مثل : أنّى يأتي المسافر؟

١١ـ أيّ: يسأل بها عن الزمان ، مثل : أي الأيام أحب إليك؟

والمكان ، مثل : أي البلاد أحب إليك؟

والحال ، مثل : على أي حال أصبحت؟

والعدد ، مثل : أيَّ ثلاثة تأخذ؟

والعاقل ، مثل : أيُّ أبويك أحق ببرك؟

وغير العاقل ، مثل : أيُّ السمك أشهى إليك؟

خروجه عن معناه :

قد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معان مجازية تفهم من سياق الكلام :

كالنفي ، مثل : ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ : ١٧] أي : ما نجازي

والأمر ، مثل : ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة : ٩١] . أي : انتهوا .

والنهي ، مثل : ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة : ١٣] .

أي : لا تخشوهم

والإنكار ، مثل : أذو الشيب يلعب؟

والتقرير ، مثل : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح : ١] .

والتوبيخ ، مثل : إلامَ السباب والعدو بالمرصاد؟

والتعظيم ، مثل : من خَلَّفْتَهُ للمكارم؟ خطاباً لميتٍ كريم

والتحقير ، مثل : كيف تصير عالماً ونراكَ النهارَ لاعباً والليلَ نائماً؟

والتهكم ، مثل : ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود : ٨٧] .

والاستبطاء ، مثل : ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

والاستبعاد ، مثل : ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ...﴾ [الدخان : ١٣] .

والتعجب ، مثل : ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود : ٧٢] .

والتسوية ، مثل : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة : ٦] .

والتمني ، مثل : ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ﴾ [الأعراف : ٣٥] .

والتشويق ، مثل : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف : ١٠] .

ـ تطبيق في التصور والتصديق ـ

١ ـ هل حج أبوك؟	سؤال عن نسبة صحة الحج إلى الأب ، فيسمى تصديقاً
٢ ـ أحجَّ أبوك؟	سؤال عن نسبة صحة الحج إلى الأب ، فيسمى تصديقاً
٣ ـ أأبوك حجَّ العامَ أم عمُّك؟	سؤال عن تصور شخص الحاج منهما في هذا العام

٤ـ أيومَ الخميس كان يومُ عرفة أم يوم الجمعة؟
سؤال عن تصور الزمان

٥ـ أيمين الإمام صليت أم خلفه؟ سؤال عن تصور المكان

٦ـ أيَّ يوم سافرت؟ سؤال عن تصور الزمان

٧ـ مَنْ فاز بالدرجة الأولى في صفه؟ سؤال عن تصور العاقل

٨ـ ماذا حفظت : أشعراً أم نثراً ؟ سؤال عن تصور غير العاقل

* * *

تمرين

بيّن التصور من التصديق فيما يلي :

١ـ أأحمد حفظ أم مروان؟ أحفظت درسك يا خالد!

٢ـ أقرآنا حفظت أم حديثاً؟ أفي البيت صفوان أم في المسجد؟

٣ـ أيوم الخميس سافرت أم يوم الجمعة

٤ـ هل نجحت يا سعيد؟ هل صليت مع الجماعة؟

٥ـ أبكر صلى أم شوقي؟

* * *

نموذج من أغراض الاستفهام الأصلية والمجازية :

١ـ ﴿ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٨٠] . معناه المجازي الأمر : اشكروا

٢ـ ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا ﴾ [البقرة : ٢٤٧] . استفهام أصلي بمعنى: كيف يكون؟

٣ـ ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] . معناه المجازي النفي: ما جزاء.

٤ـ ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا ﴾ [الشعراء : ١٨] . معناه المجازي التقرير: ربَّيناك.

٥ـ ﴿ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ ﴾ [الكهف : ١٩] . استفهام أصلي عن العدد فيجاب : ﴿ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ ﴾ .

٦ـ متى انتصرنا؟ استفهام أصلي عن الزمن الماضي فيجاب : يوم تمسكنا بديننا.

٧ـ متى ننتصر؟ استفهام أصلي عن الزمن المستقبل فيجاب : يوم نعود لديننا.

* * *

الترجي والتمني

الأمر المحبوب ـ كالنجاح والرباح ـ إن كان حصوله قريباً متوقعاً يسمى طلبه : ترجياً.

وله أداتان : « لعل وعسى ».

أـ يقول المجتهد لعلي أنجح.

ب ـ يقول التاجر عسى أن أربح.

والأمر المحبوب إن كان لا يرجى حصوله لاستحالته أو بُعده يسمى طلبه : تمنياً[1].

وله أداة واحدة « ليت ».

أـ فالمستحيل كما يقول الهَرِمُ : ليت الشباب يعود.

ب ـ والبعيد كما يقول المفلس : ليت لي قنطار ذهب.

وقد يتمنى بـ « هل » أو « لو » أو « لعل ».

١ـ مثال هل : ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ ﴾ [الأعراف : ٥٣].

٢ـ مثال لو : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٢].

٣ـ مثال لعل : لعلي إلى من قد هَوِيتُ أطير.

---

(١) تنبيه : من الأخطاء الشائعة قولهم في المراسلات : أتمنى لكم دوام الصحة والتوفيق لأن ذلك ليس مستحيلاً ولا بعيداً، بل محبوب متوقع قريب، فالصواب : أرجو لكم . . .

ـ نموذج من الترجي والتمني ـ

١ ـ ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾ [المائدة : ٥٢] . ترجٍ بعسى لأن الفتح متوقع الحصول .

٢ ـ ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق : ١] . ترجٍ بلعل لأن ذلك متوقع الحصول .

٣ ـ ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر : ١١] . تمنٍ بهل لأن خروج الكفار من النار مستحيل .

٤ ـ يقول الكسلان : ليتني نجحت : تمنٍ بليت لأن نجاحه بعيد حصوله .

* * *

تمرين

ميز الترجي من التمني فيما يلي :

١ ـ لعلي أحج : من موسر أو معسر

٢ ـ ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ [القصص : ٧٩] .

٣ ـ ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر ٣٦] .

٤ ـ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [النساء : ٨٤] .

* * *

النداء

حقيقته ـ أقسامه وأدواته ـ خروجه عن معناه

حقيقته :

طلبُ المتكلم إقبال المخاطب بحرف نائب مناب « أدعو »

أقسامه :

أ ـ نداء القريب ، وله أداتان :

١ ـ « الهمزة » ، مثل : أولدي كن مجتهداً

٢ ـ « وأيْ » ، مثل : أيْ ولدي لا تكسل

ب ـ نداء البعيد ، وله ست أدوات :

١ ـ « يا » ، مثل : يا غائباً عن عيوني

٢ ـ « أيا » ، مثل : أيا سعيد متى تعود ؟

٣ ـ « هيَا » ، مثل : هَيا سعيد متى تعود ؟

٤ ـ « آيْ » ، مثل : آيْ عليُّ هلم إلينا

٥ ـ « آ » ، مثل : آعليُّ هلم إلينا

٦ ـ « وا » ، مثل : وا أمير المؤمنين

ـ وقد ينزل البعيد منزلة القريب لشدة حضوره في الذهن ، كقول الشاعر :

أسكـانَ نَعمـانِ الأراكِ تيقنـوا بـأنكـم فـي رَبـع قلبـيَ سكـانُ

ـ وقد يجعل القريب كالبعيد كما يلي :

١ـ إما لرفعة رتبته ، مثل : يا رب لطفك .

٢ـ أو لانحطاط رتبته ، مثل : يا كسول اجتهد ـ وهو بجانبك .

٣ـ إما لغفلته بنوم أو شرود ، مثل : يا رفيقي تنبه ـ وهو بجانبك .

خروجه عن معناه :

قد يخرج النداء عن معناه الأصلي فيراد به معانٍ أخرى تفهم من الكلام :

كالزجر ، مثل : يا قلب متى تتوب؟

والتحسر ، مثل : فيا قبر مَعْنٍ كيف واريت جوده؟

والإغراء ، مثل : يا مظلوم طالِب بحقك .

* * *

تمرين

آ ـ بين أدوات النداء ، وما جاء منها على أصله ، وما خرج عن أصله مما يلي :

١ ـ أدارَ أحبتي ـ والحب دين ـ قد انطبع الوَلوه على هواكِ

٢ ـ آسعيد أسرع

٣ ـ يا جاهل تعلم ـ وكان قريباً منك ـ

٤ ـ أيا مولايَ اعفُ عني

ب ـ ما المعاني المرادة من النداء فيما يلي؟

١ ـ فيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريفِ

٢ ـ أفؤادي متى المتاب؟ ألمّا تَصْحُ والشيب فوق رأسي ألمَّا

٣ ـ يا مسكينُ انتصر ممن أهانك .

* * *

القصر

تعريفه ـ طرقه ـ طرفاه ـ أقسامه ـ أسماؤه

قد يأتيك من يماريك لتهوى أمراً تحققت ضره وقبحه ، أو لتكره امرءاً عرفت طيبه ونصحه ؟ فتضطر إذ ذاك أن تسلك معه سبيل القصر ، ليرتد عن غيه ، ويعتدل في رأيه ؛ وإليك المثال :

قال لك قائل : ما أخَّر المسلمين إلا تمسكهم بهذا الدين ، فهو الذي يأمر بالتوكل ، والرضا بالأمر الواقع ولو كان فيه الذل .

فتجيبه أنت : ما عز المسلمون إلا يوم تمسكوا بالدين ، فهو الذي يأمرهم أن يعدوا عدتهم ، ويجاهدوا عدوهم ، ويتوكلوا على ربهم ، لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم ، تالين قول رب العالمين : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة : ٥١] .

وما امتلأت قلوب العدى رعباً من المسلمين ، إلا يوم كانوا مستمسكين بالدين ؛ وأما اليوم فقد امتلأت قلوب المسلمين رعباً من عدوهم وما ذاك إلا لأنهم نسوا دينهم ، وتوكلوا على غير ربهم .

تعريفه :

القصر تخصيص شيء بشيء ، بإحدى الطرق الآتية :

طرقه :

للقصر طرق ؛ منها :

١ـ النفي والاستثناء ، مثل : لا يفوز إلا المُجدّ

خصصنا الفوز بالشخص المجد ، فالفوز مقصور والمجد مقصور عليه ويكون ما بعد إلا هنا هو المقصور عليه .

٢ـ « إنما » مثل : إنما الدخان ضار

فالدخان مقصور ، وصفة الضرر مقصور عليها وتكون الكلمة المؤخرة في الجملة « ضار » هي المقصور عليها .

٣ـ العطف بـ « لا » بعد الإثبات : الدخان ضار لا نافع ، قصرنا الدخان على صفة الضرر ، ويكون ما قبل لا هو المقصور عليه .

٤ـ العطف بـ « لكن » أو « بل » بعد نفي مثل : ما حسان قائد لكن شاعر .

ومثل : ما حسان قائد بل شاعر .

قصرنا حسان على صفة الشعر ، ويكون ما بعد لكن أو بل هو المقصور عليه .

٥ـ تقديم ما حقه التأخير ، مثل : المجتهدينَ أُحِبُّ ، قصرنا صفة المحبوبية على المجتهدين ، ويكون المقدم هو المقصور عليه .

٦ـ تعريف المسند بأل : مثل اللهم « أنت الملِك » .

قصرنا صفة المُلْك على الرب ، إذ لا مليك على الحقيقة سواه .

....

طرفاه :

مقصور ، ومقصور عليه ؛ وينقسم باعتبار طرفيه إلى قسمين :

١ـ قصر صفة على موصوف : مثل : إنما الشاعر حسان

٢ـ قصر موصوف على صفة : مثل : إنما حسان شاعر

أقسامه :

١ـ حقيقي : إن اختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع ولم يتعده إلى غيره ، مثل : لا رزاق إلا الله.

٢ـ وإضافي : إن كان الاختصاص بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معين ، مثل : إنما حسان شاعر[1].

أسماؤه :

وهذا الإضافي له ثلاثة أسماء بحسب الاعتبار :

أـ قصر إفراد : إن اعتقد المخاطب اشتراك حسان في صفتي الشعر والقيادة.

ب ـ قصر قلب : إن اعتقد المخاطب أن حسان قائد لا شاعر.

جـ ـ قصر تعيين : إن تردد المخاطب فلم يدر أي الوصفين لحسان الشعر أم القيادة.

* * *

---

(١) فلحسان صفات كثيرة خلقية وخلُقية ، ولما قصرنا لم نتعرض لشيء منها سوى الشعر ، باعتبار أن هناك من يخطىء فيضيف إليه القيادة أيضاً .

نموذج محلول

رجل غريب لا يعرف الفستق الحلبي الأخضر ، ناولتَه منه ، فظنه كالمشمش المري يؤكل قشره ويطرح عَجمه .

فأردت أن تصحح خطأه « وتقلب » فكره ، أو ظنه كالمشمش الحلو يؤكل قشره ولبه معاً .

فأردت أن تصحح خطأه « وتفرد » اللب بالأكل ، أو شك وتردد فلم يدر أيؤكل قشره أم لبه .

فأردت أن « تعين » اللب وحده للأكل ؛ فإذا قلت له قاصراً الأكل على اللب :

أ ـ الفستق لا يؤكل إلا لبه ، وخاطبتَ به من ظن المأكول قشره فقط ـ سمي : قصر قلب

ب ـ الفستق لا يؤكل إلا لبه ، وخاطبتَ به من ظن اشتراكهما في الأكل ـ سمي : قصر إفراد

جـ ـ الفستق لا يؤكل إلا لبه ، وخاطبتَ به الشاكَّ المتردد ـ سمي : قصر تعيين

* * *

تمرين

ضافك[1] بدوي مغفل يعيش على التمر لم يَرَ في حياته بطيخاً ولا يقطيناً[2] ، كيف تُفهمه بطريقة القصر كيفية أكل البطيخ إن ظن أنه يؤكل مطبوخاً لا نيئاً ، أو يؤكل في الحالين ، أو شك وتوقف ؛ وكذا في اليقطين إن ظنه يؤكل نيئاً لا مطبوخاً ، أو يؤكل في الحالين ، أو شك وتوقف؟

اذكر مثالين لذلك ، وبيّن اسم القصر في كل منهما باعتبار حال المخاطَب .

* * *

تمرين (١)

بين المقصور من المقصور عليه ، ونوع القصر وأداته فيما يلي :

١ ـ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

٢ ـ ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

٣ ـ ﴿ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] .

٤ ـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

٥ ـ ما الدخان نافعاً بل ضار

---

(١) نزل عليك ضيفاً .

(٢) القرع

٦ـ ما المهذَّب إلا الدِّين

٧ـ ما الكسل مريح لكن متعِب

٨ـ المهمل نادم لا مغتبِط

٩ـ إلى الله أشكو

* * *

تمرين (٢)

اجعل الجمل الآتية مفيدة للقصر ، ثم بين نوعه وطريقه :

١ـ الفراغ مَفسدة

٢ـ السلامة في التأني

٣ـ صحبة الأحمق تعب

٤ـ طول التجارب زيادة في العقل

٥ـ يسود الغنيُّ بالبذل والحلم .

٦ـ صديقك من نَصحك

* * *

الفصل والوصل

حقيقتهما ـ مواضع الفصل ـ مواضع الوصل

حقيقة الوصل : عطف جملة على أخرى بـ « الواو » ، مثل : المجد الناجح يواظب ويطيع

حقيقة الفصل : ترك هذا العطف ، مثل : اجتهدوا في دروسكم . اجتهدوا في البلاغة

مواضع الفصل

١ ـ إذا كانت الجملة الثانية عين الأولى[١]

أ ـ توكيداً للأولى ، مثل : ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ [الطارق : ١٧] .

ب ـ أو بياناً لها ، مثل : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ ﴾ [طه : ١٢٠] .

جـ ـ أو بدلاً منها ، مثل : أساعد والدي : أحمل عنه حوائج البيت

ويقال : إن بين الجملتين كمال الاتصال[٢]

---

(١) إذ الأصل في العطف المغايرة ، والشيء لا يعطف على نفسه .

(٢) من الضروري التفريق بين الوصل والاتصال : فذيل البعير ليس موصولاً به ، بل متصل ، إذ هو بعضه لا غيره ؛ وإنما نحتاج لحبل الوصل لو أردنا أن نربط بالبعير بعيراً آخر ؛ وحبل الوصل في علم البلاغة واو العطف بين الجملتين ، فهي كالحبل بين البعيرين .

٢ـ إذا كانت الجملة الثانية جواباً عن سؤال ناشىء من الأولى : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[1] [يوسف : ٣٥] .

ويقال : بين الجملتين شبه كمال الاتصال .

٣ـ إذا كانت الجملة الثانية لا تنسجم مع الأولى[2] :

أـ لعدم العلاقة مثل : العصفور على الشجرة الطلاب في الصف .

ب ـ أو لاختلافهما خبراً وإنشاء :

مثل : المجدُ بالجِد : يا طلاب .

ومثل : لا تفرح . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص : ٢٨] .

ويقال في هذه الأمثلة : بين الجملتين كمال الانقطاع .

مواضع الوصل

يجب الوصل في ثلاثة مواضع :

١ـ إذا اتفقت الجملتان واشتركتا في الحكم الإعرابي مثل : لكني أصوم وأفطر[3] .

٢ـ إذا أتفقتا خبراً وإنشاء مع المناسبة التامة ولا مقتضي للفصل[4] ،

(١) فكأن سائلاً سألها : لم لا تبرئين نفسك؟ فقالت : إن النفس . . .

(٢) إذ الشيء لا يعطف على ما يباينه مباينة تامة ، لأن الجنس لا يألف إلا جنسه ؛ وكما لا يعطف الشيء على نفسه لا يعطف على ضده ، أو ما لا علاقة له به ، لذا وجب الفصل هنا .

(٣) فجملة أصوم في محل رفع خبر لكن ، وجملة أفطر كذلك .

(٤) أما مثل : أساعد والدي : أحمل عنه فالجملتان وإن اتفقتا في الخبرية والمناسبة ، ولكن الذي اقتضى الفصل وترك العطف أن الثانية بعض الأولى ، وبعض الشيء لا =

مثل : اجتهِدْ ولا تتغيب

ومثل : يجتهد أحمد ويواظب

٣ـ إذا اختلفتا خبراً وإنشاء وكان الفصل موهماً ، مثل : (لا وشفاه الله)[١] في جواب من سألك : أشُفِيَ والدك؟

* * *

= يعطف على كله ؛ وكذلك : فمهل الكافرين أمهلهم : جملتان متفقتان في الإنشاء لكن الثانية عين الأولى وتوكيد لها ، والشيء لا يعطف على نفسه .

(١) هنا جملتان مختلفتان : فـ « لا » جملة خبرية معناها « ما شفي » وجملة وشفاه الله إنشائية دعائية ، فكان الواجب الفصل لاختلافهما ، لكنا وصلنا بالواو دفعاً لإيهام الدعاء عليه لو فصلنا فقلنا « لا شفاهُ الله » .

تمرين

بين مواضع الفصل والوصل مما يلي مع ذكر السبب :

١ـ ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝ قُلْنَا لَا تَخَفْ ﴾ [طه : ٦٧] .

٢ـ لا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود .

٣ـ ﴿ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴾ [الشعراء : ١٣٢-١٣٣] .

٤ـ ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ . . . ﴾ [البقرة : ٤٩] .

٥ـ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣] .

٦ـ عليكم بالأدب . عَليكم بالأدب .

٧ـ اصدقْ ولا تكذب .

٨ـ لا وبارك الله فيك في جواب من قال : أتريد خدمة؟

٩ـ إني وُليت عليكم ولستُ بخيركم .

١٠ـ لقي أبو بكر رضي الله تعالىٰ عنه رجلاً يحمل ثوباً ، فقال : أتبيع هذا الثوب؟

قال الرجل : لا يرحمك الله .

فقال له أبو بكر رضي الله تعالىٰ عنه معلماً للأدب في الكلام : قل : لا ويرحمك الله .

* * *

المساواة والإطناب والإيجاز

حقيقة الثلاثة ـ أقسام الإيجاز ـ طرق الإطناب

حقيقة المساواة : كون الألفاظ بقدر المعاني ، مثل : ﴿ هِيَ عَصَايَ ﴾ [طه : ١٨] .

حقيقة الإطناب : كون الألفاظ أكثر من المعاني لفائدة ، مثل :
﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ١٨] .

فإن لم يكن لفائدة فهو تطويل وثرثرة . . . ،

مثل : آتيك يوم الجمعة قبل يوم السبت

حقيقة الإيجاز : كون الألفاظ أقل من المعاني لكنها وافية بالغرض ،
مثل : ﴿ . . . عصاي ﴾ .

فإن لم توف بالغرض فهو إخلال . .

مثل : المرقع . . . خير من الجديد . . .

تريد المرقع النظيف خير من الجديد الوسخ .

أقسام الإيجاز :

١ ـ **إيجاز حذف** : مع قرينة تعين المحذوف . مثل : ﴿واسأل . . . القرية﴾ [يوسف: ٨٢] أي : أهل القرية

٢ـ إيجاز قصر : إن اتسعت الألفاظ القليلة للمعاني الكثيرة : مثل : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

وكما سئل أعرابي يسوق إبلاً : لمن هذه الإبل؟

فقال : لله في يدي .

طرق الإطناب :

١ـ ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على مزية الخاص ، مثل : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾[1] [القدر : ٤] .

٢ـ ذكر العام بعد الخاص لإفادة الشمول ، مثل : اجتهدوا في البلاغة وفي دروسكم .

٣ـ الإيضاح بعد إبهام لتقرير المعنى بذكره مرتين ، مثل : أهديته شيئاً ثميناً : أهديته القرآن ،

٤ـ الاعتراض بتوسط لفظ بين أجزاء الكلام لغرض ، مثل : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ـ سُبْحَٰنَهُۥ ـ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل : ٥٧] .

٥ـ التذييل ، وهو تعقيب جملة بأخرى تشتمل على معناها : مثل : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] .

٦ـ الاحتراس ، وهو الإتيان في أثناء الكلام بما يدفع الإيهام مثل :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل .

---

(١) جبريل ، ومزيته أنه رئيس الملائكة ، فحصل الإطناب بزيادة الروح مع دخوله في الملائكة .

٧ـ التكرير ، لتوكيد المعنى ، مثل : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح : ٥ـ٦] .

أو لطول الفصل ، مثل : إن تلميذاً يتقي ربه ويذاكر دروسه ويحافظ على الآداب مع معلميه وإخوانه إنه لحري بالنجاح[(١)]

* * *

(١) أصله إن تلميذاً مجتهداً أديباً لحري بالنجاح ؛ فلما طال الفصل بين اسم إن وخبرها أعدنا ذكر « إن » فحصل الإطناب بها لطول الفصل .

تطبيقات

١ـ ﴿ تَاللَّهِ . . . تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٨٥] . إيجاز حذف أي لا تفتأ .

٢ـ قال ﷺ : « الضعيف أمير الركب » إيجاز قِصَر

٣ـ ﴿ وَجَآءَ . . . رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] . إيجاز حذف أي أمر ربك .

٤ـ ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف : ٧١] . إيجاز قِصَر .

٥ـ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ ـ لَّوْ تَعْلَمُونَ ـ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة : ٧٦] . إطناب الاعتراض بين النعت والمنعوت .

٦ـ مدحت محمداً والمرسلين . إطناب بذكر العام بعد الخاص

٧ـ مدحت المرسلين ومحمداً . إطناب بذكر الخاص بعد العام

٨ـ ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ [الحجر : ٦٦] . إطناب بالإيضاح بعد الإبهام

* * *

تمرين

بيّن نوع الإطناب مما يلي :

١ـ بمعاصينا من تعطيلنا لحدود الله وتركنا الجهاد و . . . و . . . بالمعاصي أذلنا الله

٢ـ ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ . . . يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ [يوسف : ٤٦] .

٣ـ ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ، وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ : ١٧] .

٤ـ صببنا عليها[1] ظالمين سياطنا فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

٥ـ ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ [المدثر : ١٩ـ٢٠] .

٦ـ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ﴾
[الأنبياء : ٩٤] .

٧ـ ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ ﴾ [طه : ١٢٠] .

٨ـ الأمي . . . خير من المتعلم . . . !! تريد الأمي التقي خير من المتعلم الشقي

٩ـ جئتك البارحة يوم أمس ، وسآتي غداً بعد اليوم .

* * *

---

(١) على الخيل الأصيلة .

أثر علم المعاني في البلاغة

يتلخص علم المعاني في أمرين :

الأمر الأول : أنه يبين لك وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال : إذ لكل مقام مقال ؛ فقد يؤكَّد الخبر ، وقد يُلْقى دون تأكيد بحسب حال السامع مع تردد أو عناد أو خلو بال .

وكل إنسان يخاطب على قدر عقله وفهمه : قال بعضهم لبشار إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت!! قال : وما ذاك؟ قال بينما أنت تثير النقع وتخلع القلوب إذ تقول :

إذا مـا غضبنـا غضبـة مُضَـرِيَّـة هتكنا حجاب الشمس أو تُمطِرَ الدَّما

نراك تقول :

ربَـابـة ربـة البيـتِ تصب الخل فـي الـزيـت
لهـا عشـر دجـاجـاتٍ وديـك حسـن الصـوتِ

فقال بشار : لكلٍ وجهٌ وموضعٌ : فربابة جاريتي لها عشر دجاجات وديك ، تجمع لي البيض ، وأنا لا آكل البيض من السوق ، وهذا القول عندها أحسن من : قِفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ

وأيضاً للإيجاز مواطنه ، وللإطناب مواقعه ، والذكي تكفيه اللمحة ، والمكابر أو الغبي يَجْمُل في خطابه الإطناب والإسهاب ؛ لهذا تجد القرآن الكريم إذا خاطب العرب أوجز ، وإذا خاطب بني إسرائيل أسهب وأطنب .

والأمر الثاني : مما يبحث فيه علم المعاني : أنْ يُريك أن الكلام لم يُرَدْ به معناه الأصلي الذي وضع له اللفظ ليدل عليه بالأصالة ، بل أريد به معنى جديد يفهم من السياق ، وترشد إليه الحال التي قيل فيها ، فهو يقول لك : إن الخبر قد يراد به التحسر أو التعريض ، وإن الاستفهام قد يفيد النفي ، وإن الأمر قد يفهم منه التهديد وغير ذلك

(عن البلاغة الواضحة بتصرف ص ٢٥٨)

* * *

علم البيان

علم البيان

إن كرم رسول الله ﷺ معنى من المعاني الشريفة نريد أن نبينه بلفظ فصيح ، فما سبيلنا في بيان ذلك؟ وأي ثوب جميل يلبسه هذا المعنى الكريم؟

إن لنا في بيان هذا المعنى أربعة طرق :

١ـ الحقيقة المجردة ، فنقول : الرسول كريم .

٢ـ الحقيقة المشبهة ، فنقول : الرسول كالبحر كرماً وجوداً .

٣ـ المجاز ، فنقول : زرنا في المدينة . . . بحر الجود والكرم؟

٤ـ الكناية ، فنقول : رسول الله قد ملك جزيرة العرب ، وكثيراً ما بات طاوياً .

كناية عن كرمه وإيثاره وزهده .

فالعلم الذي يبحث عن شكل الألفاظ من حيث تبيينُها للمعاني هل هي في صيغة الحقيقة المجردة أو المشبهة أو المجاز أو الكناية يسمى « علم البيان » .

فإذا صح لنا أن نشبه علم البلاغة بعلم الخياطة وكان علم المعاني يأتي في الترتيب أولاً كمعرفة قياس الجسم ـ كان علم البيان الذي يأتي في الترتيب ثانياً كشكل الخياطة من ثوب أو جبة أو قَباء أو بنطال .

فشكل البيان هنا لإفادة معنى الكرم هو الحقيقة المجردة أو المشبهة أو المجاز أو الكناية .

القاعدة :

علم البيان : علم يبحث فيه عن طريق تبيين المعنى المراد بصيغة الحقيقة المجردة أو المشبهة أو المجاز أو الكناية .

* * *

التشبيه

أركانه ـ أدواته ـ طرفاه

إذا قلت : (علي كالأسد في الجرأة) تكون قد بينت أن علياً شارك الأسد في وصف الجرأة وقد اشتمل هذا المثال على أركان التشبيه كلها :

أركانه : أركان التشبيه أربعة : المشبه ، والمشبه به ، وأداة التشبيه ، ووجه الشبه .

فالمشبه (علي)، والمشبه به (الأسد)، والأداة (الكاف)، والوجه (الجرأة).

أدواته : من أدوات التشبيه: الكاف ، وكأنَّ ، ومثل ، وشِبْه ، ويحكي ، وما في معناها

طرفاه : هما المشبه والمشبه به ، وهما الركنان الأساسيان اللذان لا حتملان السقوط ، فلا بد من ذكرهما معاً ، إذ لو حذف أحدهما لم يسم تشبيهاً ، أما الأداة ووجه الشبه فكثيراً ما يحذف أحدهما أو كلاهما ويبقى الكلام تشبيهاً :

أ ـ علي أسد جرأة : محذوف الأداة وحدها .

ب ـ علي كالأسد : محذوف الوجه وحده .

جـ ـ علي أسد : محذوف الوجه والأداة ويسمى هذا « تشبيهاً بليغاً » فكأنك تدعي لما حذفت الأداة والوجه أن علياً هو الأسد بعينه لا شبيه به لكن الأداة هنا ملحوظة .

القاعدة :

التشبيه : بيان أن شيئاً شارك غيره في وصفه بأداة ملفوظة أو ملحوظة .

تطبيق

سيدنا محمد ﷺ كالبدر في الحسن : تشبيه كامل حوى جميع الأركان .

فمحمد ﷺ : مشبه .

والكاف : أداة التشبيه .

والبدر : مشبه به .

وفي الحسن : وجه الشبه .

وظيفة

شبِهْ رسول الله ﷺ بالبحر تشبيهاً كاملاً تارة ، وأخرى محذوفَ الوجه وحده ، أو محذوف الأداة وحدها ، أو محذوف الأداة مع الوجه ، وماذا يسمى هذا الأخير؟

* * *

أغراض التشبيه

التشبيه يُدني القصيّ ، ويذلل العَصِيّ ، ويكشف الخفي ؛ وإن من البيان لسحراً ، والبليغ يستطيع بسحر بيانه أن يتصرف في المفاهيم :

١ ـ بأن يُنَفِّرَ من اللذيذ الطيب ، فيقول عن العسل : (هذا قيء الزنانير) لتقبيح المشبه

٢ ـ أن يُحَسِّنَ القبيح المستبشع كأن يقول في مصلوب كريم :

مددتَ يديك نحوهمُ احتفاء[1] كمـدهمـا إليهـمْ بـالهبـات

لتزيينه

٣ ـ أو يستدل على إمكان ما يقول :

محمـد بشـر وليـس كـالبشـر بل هو ياقوتة والناس كالحجر[2]

لبيان إمكانه

٤ ـ أو يبين مقدار وصف المشبه فيما يتفاوت لونه أو طعمه :

لونه أحمر كالدم أو كالورد.

لونه أسود كالفحم أو كالغراب.

---

(١) ترحيباً .

(٢) يشبهه قول الشاعر :

فـإن تَفُـقِ الأنـامَ وأنـتَ منهـم فـإن المسـكَ بعـضُ دم الغـزال

لونه أبيض كالثلج أو كالملح

طعمه حامِض كالليمون أو الرمان

طعمه حلو كالتمر أو كالعسل لمقدار حاله

٥ـ أو يكون الشي معنوياً خفياً فتأتي له بأمثلة حسية ليتضح ويقوى ويتقرر ، لأن النفوس تقنع بالحسيات أكثر :

مثل :

ذوق البلاغة في الكلام كذوق الملح في الطعام

ومثل :

إن القلــوب إذا تنــافــر ودهــا مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

لتقرير حاله

فبتشبيه القلوب المتنافرة بزجاجة متكسرة يتقرر المراد من أنها لا تعود للرضا.

القاعدة :

أغراض التشبيه : إما التنفير من المشبه ، أو تحسينه ، أو بيان إمكانه ، أو بيان مقداره ، أو تقرير الحال بضرب المثال . . .

* * *

تمرين

بين أغراض التشبيه مما يلي :

١ـ كم من أب قد علا بابن ذُرا شرف كمـا عـلا بـرسـول الله عـدنـانُ

٢ـ قال بعضهم في سوداء : أشبهكِ المسكُ وأشْبَهَتِهِ.

٣ـ رمح لَيّان ، كأنه خيزُران.

٤ـ أصفر كالليمون ، وأسود كالليل.

٥ـ الشيب للشعر كالنَّور[١] .

٦ـ نكهة الدخان كبَخَرِ الأقدام.

٧ـ « الجليس الصالح كحامل المسك ، والجليس السُّوْء كنافخ الكِير ».

٨ـ قال ابن الرومي :

لا تظنَّـنَّ حـدبـة الظهـر عيبـاً فهي في الحسن من صفات الهلالِ
وكـذاك القِسِـيّ مُحَـدَوْدِبـاتٌ وهي أنكى من الظُبا والعوالي

٩ـ إذا أخو الحسن أضحى فعلهُ سمِجاً رأيـتَ صـورتـه مـن أقبـح الصُـوَرِ
وهبه كالشمس في حسن ألم ترنا نَفِـرُّ منهـا إذا مـالـت إلـى الضـررِ

(١) النور : الزهر في الغصون ، وفي هذا يقول الشاعر :

قـد يشيـب الفتـى ، وليـس عجيبـاً أن يرى النور في القضيب الرطيب

في الشجر .

للتشبيه أنواع ثلاثة

١ ـ تشبيه التمثيل

قال تعالىٰ : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ [العنكبوت : ٤١] . شبَّهَ اللهُ تعالىٰ حال الكافرين حين اعتمدوا في النصرة على أصنامهم بحال العنكبوت : نسجت من خيوطها الضعيفة بيتاً لها لا يلبث أن تمزقه الريح فيتلاشى ، فليس المراد هنا تشبيه الكفار بالعنكبوت تشبيهاً مفرداً ؛ إذ لا تشابه بينهما في الحجم ولا في الصورة ، بل المراد : تمثيل حالهم في اغترارهم بحماية الأصنام إياهم مع عجزها ، بحال العنكبوت في تشبثها ببيتها الواهن .

القاعدة :

يسمى التشبيه تمثيلياً إذا كان وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد ، ويسمى (تشبيهاً مركباً)

* * *

تطبيق

قال ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا[1] على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقَوْا من الماء مروا على مَن فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ! ! فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجَوْا ونجوا جميعاً » .

فأنت ترى أن وجه الشبه بين الفريقين : المتقين مع الفاسقين ، والخارقين مع العاقلين ـ ليس واحداً ـ بل صور متعددة ، هي جهلُ السفهاء بعواقب الأمور ، حينما يحاولون عملاً ضاراً بالناس ، لأنهم بحماقتهم يرونه أوفق بمصلحتهم ، وموقف العقلاء منهم ما بين حزم عاقبته سلامة الجميع ، أو إهمال يتبعه دمار الكل .

* * *

(١) اقترعوا .

تمرين

بين وجه الشبه التمثيلي فيما يلي :

١ ـ ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة : ٥] .

٢ ـ ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

٣ ـ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور : ٣٩] .

٤ ـ ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [النور : ٤٠] .

٥ ـ كأنه وهو يعطي المال مبتسماً صَوْبُ الغمامة تَهْمِي وهي تأتلِقُ[١]

* * *

(١) تهمي ، تسكب . تأتلق : تلمع .

٢ـ التشبيه الضمني

جاءك رجل هَرِم يبتغي أن تعلمه الصرف ، وأردت صرفه :

فإن قلت :

١ـ « الهَرِم كحطب مهما سقيته لا يثمر ، أو الهرم صخر لا يُنبِت » كان هذا تشبيهاً صريحاً لأنك أتيت بالتشبيه في صوره المعروفة ولو أنه في المثال الثاني بدون أداة .

أما لو قلت :

٢ـ « الهرم لا يتعلم ، هل سمعت حطباً أثمر؟ أو الصخر لا ينبت ، أو الكتابة على الماء لا تثبت » كان هذا « تشبيهاً ضمنياً » لأن الجملة الثانية أتيت بها كالدليل على الأولى ، وليست خبراً للهرم ، ولا وجود للكاف لا ملفوظة ولا ملحوظة ، ولكن رائحة التشبيه تشم من خلال جملتك الثانية ، فكان « تشبيهاً ضمنياً » .

القاعدة :

التشبيه الضمني : تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل يلمحان في التركيب .

* * *

تمرين

اشرح أبيات الشافعي في مدح السفر ، وبيِّن ما فيها من تشبيهات ضمنية :

ما في المُقام لذي عقل وذي أدبِ
من راحة فدع الأوطان واغتربِ
سافر تجدْ عِوضاً عمن تفارِقُهُ
وانصَبْ فإن لذيذ العيش في النَّصَبِ
إني رأيت وقوف الماء يفسده
إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب
الأُسْدُ لولا فراق الغاب ما افترست
والسهم لولا فراق القوس لم يُصِب
والشمس لو وقفت في الأفق دائمة
لملَّها الناس من عجم ومن عرب
والتِّبْرُ كالتُّرب مُلقى في أماكنه
والعُود في أرضه نوع من الحطب

* * *

٣ـ التشبيه المقلوب

الأصل في وجه الشبه أن يكون ظهوره في المشبه به أقوى وأوضح من ظهوره في المشبه ، فإذا قلنا : « خده كالورد » كان من المعلوم أن الحمرة والجمال في الورد أظهر وأقوى منهما في الخد ، وكان « تشبيهاً أصلياً » .

هذا هو الوضع الطبيعي والتعبير الأساسي .

لكنا إذا بالغنا في التشبيه زاعمين أن الجمال والحمرة في خده أظهر وأقوى منهما في الورد ، وأنهما في الخد أصل وفي الورد تبع ـ نكون متلاعبين بالألفاظ « قالبين للحقائق » نقصد النكتة والمبالغة فنقول :

الـــورد يحكـــي خـــده ... والـــرمـــح يشبـــه قـــده

فهذان « تشبيهان مقلوبان » أصلهما : خده يحكي الورد ، وقده يشبه الرمح .

القاعدة :

التشبيه المقلوب : جعل المشبه مشبهاً به بادعاء أنَّ وجه الشبه فيه أقوى وأظهر .

* * *

تمرين (١)

حول التشبيهات الآتية إلى تشبيهات مقلوبة وبيّن أيها أبلغ؟

١ـ رسول الله ﷺ وجهه كالقمر ليلة البدر

٢ـ وصدره كالبحر حلماً وعلماً

٣ـ وعزمه كالسيف مضاءً وحزماً

٤ـ ويده كالغيث جوداً وكرماً[١] .

تمرين (٢)

رد التشبيهات المقلوبة إلى أصلها مما يلي :

١ـ كأن النسيم لطف أبي القاسم ﷺ

٢ـ وكأن الماء في الصفاء طباعه

٣ـ وكأن نشر الروض حسن سيرته[٢]

٤ـ وكأن ضوء النهار جبينه[٣]

---

(١) وما أحسن ما قال بعضهم :

مـــن قـــاس جـــودك يـــومـــاً ... بـــالسحـــب أخطـــأ مـــدحـــك

السحـــب تعطـــي وتبكـــي ... وأنـــت تعطـــي وتضحـــك

(٢) متـى مـا ذكـرنـاه بـأرض كـأننـا ... نـرش على أجـزاء ذراتهـا العطـرا

(٣) قال حسان :

متى يَبْدُ في الداجي البهيم جبينه ... يَلُحْ مثل مصباح الدجى المتوقد

بلاغة التشبيه

إن التشبيه السطحي الذي يستعمله أرباب العلوم للإيضاح والبيان ، وتقريب الشيء إلى الأذهان ، لا أثر فيه للبلاغة ، لظهوره وجفافه ، وخلوه من الخيال .

أما التشبيه الفني الممتزج بالخيال والحركة فهو الذي يُعْنى به فحول الشعراء . تأمل قول المعري يصف سهيلاً من نجوم السماء :

يُسْـرِع اللمـح فـي احمـرار كمـا تسـرع فـي اللمـح مقلـة الغضبـانِ

تر أن هذا النابغة رغم أنه لا يرى قد وصف النجم وصفاً تحدى به البصراء !!

وتأمل قول المتنبي :

بَلِيتُ بِلَى الأطلال إن لم أقِف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

تجد أنه قد أسرك بروعة تشبيهه هذا لتقف معه طويلاً على أطلاله يفتش عن قلبه الذي أضله هناك ، كما يقف شحيح ضاع منه خاتمه في التراب ، فهو يقلب كل حصاة ، ويبحث كل جانب .

وقد جرى العرب على تشبيه الوجه الجميل بالبدر ، والأسنان بالبَرَد ، والخد بالورد ، والشعر الفاحم بالليل ، والقوام بغصن البان ، والماء الصافي باللُّجَيْن ، والجداول بالحيّات الملتوية ؛ والطائش بالفَراش ، والذليل بالوتِد ، والبليد بالحمار ، والماكر بالثعلب ، والشجاع بالأسد ، والمؤذي بالعقرب .

كما اشتهر رجال بخلال حميدة فجرى التشبيه بهم : فالكريم كحاتم ، والحليم كالأحنف ، والعادل كعمر ، والفصيح كسَحبان ، والذكي كإياس ، والحكيم كلقمان .

وهناك آخرون عرفوا بصفات ذميمة ، فشبه بهم فيها أيضاً ، فالألكن كباقل ، والأحمق كهبنقة ، والبخيل كمادر ، والقاسي كالحجاج .

(انتهى من البلاغة الواضحة بتصرف ص ٦٥ـ٦٨)

* * *

الحقيقة والمجاز اللغوي

كل لفظ وضع في الأصل ليدل على معناه الحقيقي ، بحيث إذا أطلق في طريقه السوي المستقيم دون عائق وصل إلى « معناه الأصلي » ؛ فيسمى هذا الإطلاق « حقيقة » كنهر يجري مستقيماً من منبعه إلى مصبه ؛ أما إن وضعنا في طريقه سداً يحجزه فإنه ينحرف عن مجراه ويحيد ، يمنَةً أو يسَرة كما نريد .

وهكذا اللفظ : إن عاقته « قرينة » عن أن يصل إلى معناه الأصلي « فجاوزنا » به طريقه المستقيم سمي « مجازاً » ، ولا بد لهذا الانحراف من سبب يسمى « علاقة »[1] عند علماء البلاغة ، وإليك المثال :

وضعت لفظة « الأسد » في أصل اللسان العربي للحيوان المفترس الحقيقي ذي الناب والمِخلب ، فإذا أطلقناها على ما وضعت له كان « إطلاقاً حقيقياً أصلياً » .

أما إن انحرفنا بها عن معناها « وجاوزنا » بها طريقها لوجود « قرينة » تحجزنا وتمنعنا فأردنا بـ « الأسد » حمزة رضي الله عنه ـ كان هذا « مجازاً لغوياً » وكان عملنا هذا حكيماً ، فنقول :

لقد قتَلَ . . . أسد الله يوم أُحد كثيراً من المشركين

(١) العلاقة هي الارتباط بين المعنى الأصلي المتروك وبين المعنى الفرعي المجازي المراد كالجرأة في الأسد .

فإطلاق « الأسد » على حمزة « مجاز لغوي » علاقته « المشابهة » والقرينة المانعة من إرادة الحيوان الحقيقي « لفظية » هي « يوم أحد » إذ لم يكن معهم أسد .

ومتى كانت العلاقة « المشابهة » بين المعنى الحقيقي للكلمة والمعنى المجازي سمي هذا الإطلاق « استعارة » .

ولا بد في الاستعارة من حذف أحد طرفي التشبيه : المشبه وحده ، أو المشبه به وحده ؛ ولا يجتمعان ، وإلا سُمّي تشبيهاً .

وقد تكون العلاقة بين المعنى الأصلي والمجازي « غير المشابهة » كما تكون القرينة المانعة من إرادة الأصل « عقلية لا لفظية » مثل : ﴿ وَسْـَٔلِ . . . ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف : ٨٢] .

فالقرية في الأصل اسم للأبنية ، ولما كانت الأبنية لا تُسأل أراد « أهلها » لأنها « محلهم » ومسكنهم ، والقرينة المانعة من إرادة الأصل « عقلية » لا لفظية لأن القرية لا تُسأل ولا تجيب .

وبما أن العلاقة بين القرية وأهلها ليست المشابهة سمي هذا الإطلاق : « مجازاً مرسلاً » أي غير مقيد بخصوص المشابهة ، والعلاقة هنا « المحلية » .

القاعدة :

المجاز اللغوي : كلمة استعملت في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي .

وهو نوعان :

١ـ **مجاز بالاستعارة** : إن كانت العلاقة المشابهة مثل : « رأيت . . أسداً في المعركة » .

٢ـ مجاز مرسل : إن كانت العلاقة غير المشابهة مثل : ﴿وَسْئَلِ . . . ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف : ٨٢] .

* * *

تمرين

بيّن الحقيقة من المجاز مما تحته خط :

١ـ إذا اعتل[1] سيف الدولة اعتلت الأرض

٢ـ كان خالد بن الوليد إذا سار سار النصر تحت لوائه

٣ـ وما مات حتى مات مضرب سيفه

٤ـ فيوماً بخيل تطرد الروم عنهمُ ويوماً بجود تطرد الفقر والجدبا

٥ـ بنيت بيوتاً عاليات ، وقبلها بنيت فخاراً لا تُسامى شواهقه

* * *

(١) مرض .

الاستعارة

كلام البلغاء كلام حكيم ، لا لغو فيه ، ولا سَخفَ .

فمن شَبَّه الجبان بعنتر ، أو القرد بالبدر لم يكن حكيماً ، إذ لا التقاء بينهما بوجه من الوجوه إلا أن يكون مستهزئاً مستخفاً .

كذلك من استعار ثوب الطويل للقصير أو بالعكس ، إذ لا تشابه بينهما في الطول والقِصَر .

فأصل الاستعارة « التشبيه المعقول » ، لكن لا بد هنا في « الاستعارة » من حذف المشبه وحده أو المشبه به وحده ، ولا يصح حذفهما معاً ، كما لا يصح اجتماعهما معاً ، فإن اجتمعا كان تشبيهاً لا استعارة ، وإليك الأمثلة :

١ـ خالد كسيف الله : تشبيه عادي .

٢ـ خالد سيف الله : تشبيه ـ لوجود الطرفين ـ بليغ لحذف الأداة والوجه .

٣ـ أنقذ الجيش يوم مؤتة . . . سيف سلَّه الله على المشركين : استعارة لحذف المشبه وهو خالد .

٤ـ اندفع خالد يوم مؤتة . . . يفري الروم فرياً ، ويبري قادتهم برياً : استعارة لحذف المشبه به وهو السيف .

القاعدة :

الاستعارة : كلمة استعملت في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي .

ولا بد في الاستعارة من الاشتراك بين المشبه والمشبه به بوجه من الوجوه ، لأن الاستعارة أصلها التشبيه ، وكما أن الثوب المستعار حينما يلبسه المستعير لا يكون فيه إلا شخص واحد ، كذلك في الاستعارة لا يوجد إلا لفظ واحد ، إما المشبه أو المشبه به ، فلا يجتمعان .

* * *

تمرين

ميِّز الاستعارة من التشبيه العادي والبليغ فيما يلي :

١ـ علي أسد

٢ـ علي كالأسد

٣ـ علي . . . يموج بالعلوم

٤ـ استلم الراية يوم خيبر . . أسد الله الغالب ، فكان الفتح على يديه .

* * *

أقسام الاستعارة

أولاً : الاستعارة من حيث ذكر المُشَبَّه به أو المُشَبَّه

(التصريحية والمكنية)

١ـ « اقتحم الخندق عمرو بن ودّ يهدد ويتحدى ، فأرسل له الرسول ﷺ . . . ليثاً جندله صريعاً ، فخر سريعاً » .

شبهنا « علياً » رضي الله تعالىٰ عنه بالليث بجامع الجرأة ، ثم استعرنا كلمة الليث لـ « علي » وحذفنا المشبه وهو « علي » رضي الله تعالىٰ عنه ، إذ لا لزوم لذكره ما دمنا قد صرحنا بالمشبه به ، وهو « الليث » الذي ادعينا أنه هو « علي » نفسه لا غيره .

والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي « الخندق » ، إذ لم يكن معهم في غزوة الخندق ليث حقيقي ، وتسمى « استعارة تصريحية » لأنا صرحنا بذكر المشبه به ، وهو « الليث » الذي أردنا به علياً ، لذلك حذفنا علياً لاستغنائنا عن ذكره بذكر الليث ، فكأنا ألبسنا علياً جلد الليث ، فلا لزوم لظهور شيء من جسم علي أو اسمه ، فمن رآه لم ير إلا ليثاً .

٢ـ « أنشب علي . . . مخالبه في عمرو بن ودّ » .

شبهنا « علياً » بالليث ثم استعرنا الليث لـ « علي » لكنا ـ هنا ـ « كنينا » وخبأنا وسترنا كلمة « الليث » التي هي المشبه به تحت كلمة

« علي » ورمزنا إلى الليث المحذوف بشيء يدل عليه من لوازمه ، وهو كلمة « مخالبه » ، فكأنا ألبسنا علياً جلد الليث ؛ لكن من تحت ثيابه إلا أنّا أبقينا مخالبه طويلة بادية ، وكأنا ندعي أيضاً أن علياً هو الليث نفسه ، ألا ترون المخالب بارزة في كفيه تحت أكمامه؟

فلا لزوم لذكر الليث ، وتسمى « استعارة مكنية » ..

القاعدة :

١ـ **الاستعارة التصريحية** : ما صرح فيها بلفظ المشبه به

٢ـ **الاستعارة المكنية** : ما حذف فيها لفظ المشبه به ، ورمز له بشيء من لوازمه .

فائدة :

الاستعارة بقسميها أبلغ من التشبيه ، إذ بحذف المشبه أو المشبه به في الاستعارة يمكننا المبالغة وادعاء أن الطرفين قد صارا طرفاً واحداً مجازاً ، وليس التشبيه كذلك ، ولو كان بليغاً إذ لابد فيه من ذكر الطرفين فهو من باب الحقيقة .

* * *

تطبيق

١ـ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ . . . ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى . . . ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم : ١] .

شبهنا الكفر بالظلمات ، ثم حذفنا المشبه وهو الكفر ، وصرحنا بالمشبه به وهو الظلمات على سبيل الاستعارة التصريحية .

وشبهنا الإيمان بالنور ، ثم حذفنا المشبه وهو الإيمان ، وصرحنا بالمشبه به وهو النور على سبيل الاستعارة التصريحية .

والعلاقة في المثالين المشابهة ، والقرينة فيهما عقلية .

٢ـ وتحَدَّث الماء الزلال . . . مع الحصى

فجرى النسيم عليه يَسْمع ما جرى

شبهنا الماء بإنسان لطيف يتحدث ، ثم حذفنا المشبه به وهو الإنسان فخبأناه « وكنيناه » ورمزنا له بشيء من لوازمه وهو التحدث ، على سبيل الاستعارة « المكنية » والعلاقة المشابهة في الصوت ، والقرينة عقلية .

* * *

تمرين

بيِّن نوع الاستعارة أو التشبيه فيما يلي :

١ـ ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ . . . أَحْيَيْنَٰهَا ﴾ [يس : ٣٣] .

٢ـ وإذا المنية . . أنشبت أظفارها　　ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفع

٣ـ ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

٤ـ وإذا العناية لاحظتك عيونها　　نم فالمخاوف كلهنّ أمانُ

٥ـ قال ﷺ لأنجشة وكان يحدو بالنساء على الجمال :

« رُويدكَ يا أَنْجَشُة سَوْقَك بالقوارير » أي بالنساء اللاتي يشبهن الزجاجات في سرعة التأثر .

* * *

ثانياً: الاستعارة من حيث الاشتقاق والجمود

(الأصلية والتبعية)

١- سرني.. ضَحِكُ الرياض : « أصلية » ؛ لأنها في المصدر : « إزهار » .

٢- مررت برياض... تضحك : « تبعية » ؛ لأنها في الفعل « تُزْهِر » تبعاً للمصدر .

٣- مررت برياض... ضاحكة : « تبعية » ؛ لأنها في اسم الفاعل « مزهرة » تبعاً للمصدر .

يقال في المثال الأول : شبهنا الأزهار بالضحك بجامع التفتح في كل من : تفتح النَّوْر وفتح الفم ، واستعرنا لفظ « الضحك » الذي هو المشبه به للأزهار المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية ، وتسمى « أصلية » لأن كلمة « الضحك » مصدر جامد « أصل » لا مُشتق[1] .

وفي المثال الثاني : شبهنا أيضاً الأزهار بالضحك بجامع التفتح في كل ، ثم استعرنا « الضحك » لـ « الأزهار » ، لكنا اشتققنا الفعل المضارع : « تضحك » بمعنى « تُزهِر » من المصدر الذي هو « الضحك » ؛ لأن المصدر يشتق منه الفعل ، كما اشتققنا اسم الفاعل في :

---

(١) المصدر في التصريف هو الأصل الذي يفتق منه الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل والمفعول . . .

المثال الثالث : « ضاحكة » بمعنى « مزهرة » على سبيل الاستعارة التصريحية لأنا صرحنا بالمشبه به ، وتسمى « تبعية » ، لأن إجراءها في المشتق تابع لإجرائها في الأصل الجامد الذي هو المصدر .

القاعدة :

الاستعارة الأصلية : ما كانت في المصدر الجامد لأنه أصل جميع المشتقات .

الاستعارة التبعية : ما كانت في المشتقات : كالفعل واسم الفاعل واسم المفعول . . .

* * *

تطبيق

١ـ ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة : ١٧٩] . معناه : إذا قتلتم القاتل وقطعتم السارق طابت الحياة واستتبَّ الأمن وعمّ العدل .

فيقال : شبهنا الأمن الشامل بالحياة الكاملة الصحيحة بجامع السعادة في كل ، ثم حذفنا المشبه وهو الأمن ، وصرحنا بالمشبه به وهو الحياة على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، لأن الحياة اسم جامد أصل .

٢ـ ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] . معناه : في طاعة الله ورسوله حياتُكم وسعادتكم .

فيقال : شبهنا الطاعات بالحياة بجامع الانتفاع في كل ، إذ العاصي لا ينفعه سلوكه كالميت انقطع عمله ، ثم اشتققنا من المصدر « الحياةَ » بمعنى الطاعة المضارعَ : ﴿لما يحييكم﴾ بمعنى استجيبوا لما تطيعون به ربكم ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

٣ـ ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] . معناه : أو مَن كان كافراً فهديناه وزيناه بالإيمان ينير طريقه كالكافر الغارق في ضلالاته ليس بخارج منها؟

فيقال : شبهنا الكفر بالموت ، لعدم الانتفاع في كل ، ثم حذفنا الكفر المشبه ، وصرحنا بالموت المشبه به ، ثم اشتققنا من الموت بمعنى الكفر ﴿ميتاً﴾ بمعنى كافر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ويقال أيضاً : شبهنا الهداية للإيمان بالحياة ، ثم اشتققنا منها الفعل الماضي ﴿أحييناه﴾ بمعنى هديناه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

وشبهنا الإيمان بالنور ، وحذفنا الإيمان وصرحنا بالمشبه به : ﴿نوراً﴾ الذي أردنا به الإيمان ، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية لأن النور جامد غير مشتق .

وكذلك استعرنا كلمة ﴿الظلمات﴾ لأنواع الكفر على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

* * *

تمرين

مَيِّز الاستعارة الأصلية من التبعية ، وأجْرِها فيما يلي :

١ـ قال المتنبي يصف قلماً : يَمُجُّ ظلاماً في نهارٍ لسانُه

٢ـ قال بعضهم يخاطب طائراً :

أنت في خضراءَ ضاحكة   من بكاء العارض الهَتِن[١]

٣ـ لا تَخُضْ فيما لا يعنيك

٤ـ لا تَبْنِ دنياك بهدم دينك

٥ـ قال بعضهم في وصف مُهْر أدهمَ أغَرّ[٢] :

وأدهمَ يستمد الليلُ منه   وتطلع بين عينيه الثريا

٦ـ شراء النفوس بالإحسان خير من بيعها بالعدوانِ .

* * *

---

(١) العارض : السحاب . الهتن : الكثير الأمطار .

(٢) أدهم : أسود . الغرة : بياض في جبهة الفرس .

ثالثاً: الاستعارة من حيث القوة والضعف

(المرشحة والمجردة والمطْلقة)

١ـ « يتلو رسول الله ﷺ . . الدرر فيستغني الصحب عن الدنيا ». [ترشيح]

٢ـ « يتلو رسول الله ﷺ . . الدرر فيزداد الصحب إيماناً » [تجريد]

٣ـ « يتلو رسول الله ﷺ . . الدرر » [إطلاق]

٤ـ « إذا تلا رسول الله ﷺ على صحبه . . الدرر استغنوا واستناروا » [إطلاق]

تأمل في المثال الأول تجد أننا شبهنا الآيات بالدرر ، ثم أتبعنا الدرر بما يؤهلها ويقوّيها ويرشحها للتشبيه بها وهو « فيستغني » لأن الغنى يناسب الدرر ، فتسمى هذه التقوية للمشبه به « ترشيحاً ».

أما المثال الثاني : فزيادة الإيمان تناسب الآيات الحقيقية المتلوة ، وهذا يضعف شأن الاستعارة « ويجردها » من قوتها فيسمى : « تجريداً » .

ولا شك أن الترشيح الذي يقوي الاستعارة أبلغ من التجريد الذي يضعفها .

أما المثال الثالث : فلا تجد فيه بعد الدرر زيادة مما يقوي المشبه به ليكون ترشيحاً ، ولا مما يضعفه من ملائمات المشبه ليكون تجريداً ، بل كان التشبيه فيه مطلقاً فيسمى « إطلاقاً »

أما المثال الرابع : ففيه ما يقوي الطرفين لأن « استغنوا » تناسب الدرر ، و « استناروا » تناسب الآيات ، ومن القواعد أن الدليلين إذا تعارضا تساقطا ، فيسمى هذا « إطلاقاً » أيضاً كالثالث.

مثال على ذلك : « شجرة الليمون » :

إن وضعنا لها سماداً تقوَّت فهو كـ	« الترشيح »
وإن جردناها من قشرتها ضعفت فهو كـ	« التجريد »
وإن أطلقناها فلم نعمل فيها شيئاً بقيت بحالها فهو كـ	« الإطلاق »
وكذلك لو قشرناها ووضعنا لها سماداً فهو كـ	« الإطلاق »

القاعدة :

١ـ **الاستعارة المرشحة** : ما ذكر معها ملائم المشبه به فقط

٢ـ **الاستعارة المجردة** : ما ذكر معها ملائم المشبه فقط

٣ـ **الاستعارة المطلقة** : ما خلت عما يلائم المشبه والمشبه به ، ومثلها ما اشتملت عليهما .

* * *

ملاحظة :

لا يعتبر الترشيح والتجريد في الاستعارة إلا بعد استيفاء الاستعارة قرينتها لفظية كانت أم عقلية ، وإليك البيان مع التمثيل :

١ـ « رأيت . . . بحراً يعطي » هنا استعارة تصريحية مطلقة ، ولا يمكن أن نعد « يعطي » تجريداً لأنه يلائم المشبه وهو الإنسان الكريم ! !

بل « يعطي » هي القرينة اللفظية للاستعارة ، ولولاها لحملنا الكلام على حقيقته وأنك رأيت البحر الحقيقي الذي تجري فيه السفن ، فإذا زدنا بعدها ما يلائم المشبه كان تجريداً ، أو ما يلائم المشبه به كان ترشيحاً .

٢ـ « يتلو رسول الله ﷺ . . . الدرر » هنا القرينة المانعة من إرادة الحقيقة عقلية وهي إيقاع التلاوة على الدرر ، فالاستعارة هنا أيضاً مطلقة ، فإذا زدنا بعدها ما يقوي جانب المشبه به كان ترشيحاً ، أو ما يناسب المشبه كان تجريداً .

٣ـ « رأيت . . . بحراً يعطي فاغترفت منه » نعتبر « يعطي » قرينة ، واغترفت ترشيحاً لأنها تقوي جانب المشبه به وهو البحر بعد استيفاء القرينة .

٤ـ «رأيت . . . بحراً يعطي حتى عَمَّ الناس كرمه » نعتبر « عم الناس كرمه » تجريداً لأنه يناسب المشبه وهو الرجل الكريم بعد استيفاء القرينة .

* * *

تطبيق

١ ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ [البقرة : ١٦] .

الاستعارة في كلمة ﴿اشتروا﴾ شبهنا استبدال الكفر بالإيمان بالشراء ، واشتققنا الفعل الماضي ﴿اشتروا﴾ بمعنى « استبدلوا » من المصدر الجامد : الاستبدال ، فكانت تبعية .

ولما كان هذا « الاستبدال » سفاهة وحُمْقاً أعقبه بما يقوي « ويرشح » الشراء المشبه به ، وهو جملة : « فما ربحت تجارتهم » فتسمى « ترشيحاً » .

٢ـ قال بعضهم في وصف الكتب :

لنا جلساءُ ، لا يُمَلُّ حديثهم ألِبَّاءُ مأمونون غَيْباً ومشهدا

شبه الكتب بالجلساء ، ثم « رشح » وقوى جانب المشبه به ، وهو « الجلساء » بذكر ثلاث صفات : « يتحدثون » و « ألباء » و « مأمونون » وهذه صفات الجلساء لا الكتب .

٣ـ رحم الله امرءاً ألجم نفسه . . . بإبعادها عن شهواتها

شبهنا النفس بالدابة الشَّموس بجامع الخطر والأذى في كلٍ ، ثم أتبعنا ذلك بما يلائم النفس لا الدابة ، وهو « الإبعاد عن الشهوات » وهذا « يجرد » الاستعارة من قوتها ، إذ هو يُذْكر بالمشبه ، والاستعارة القوية مبنية على تناسيه ، وادعاء أن المشبه به عين المشبه .

٤ـ رحم الله امرءاً ألجم نفسه . . . وقيَّدها بقيودها .

يقال هنا : إن جملة : « قيَّدها » تقوي جانب المشبه به وهو الدابة الجَموح فيسمى « ترشيحاً » وهو أبلغ من سابقه ، لأنا بالترشيح ندعي أننا تناسينا النفس ، والتفتنا إلى الدابة ، ألا ترى القيود ، وتسمع صليلها؟!

٥ـ لا . . . تخض في حديث ليس من حقك سماعه .

معناه : لا تتكلم ، فشبهنا ذلك بالخوض ، ثم أتبعناه بـ « سماعهُ » التي تناسب التكلم ، فكان « تجريداً » وإضعافاً للاستعارة ، أما لو قلنا : « لا تخض في حديث لا يعنيك ، فَتَغْرق أو تَزْلَق » كانت جملتا « تغرق أو تزلق » « ترشيحاً » وتقوية للخوض ، إذ هما مما يلائمه .

* * *

تمرين

بيِّن الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة ، وأجْرِها فيما يلي :

١ـ حاذر أن تقتل وقتك ، فإن لكل قتل قِصاصاً .

٢ـ وكتاب الكون يبدو صحفاً يقرأ الحكمة فيها العقلاء

٣ـ ﴿ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٧] .

٤ـ اشترِ بالمعروفِ عرضك من الأذى .

٥ـ طغى الماء ـ غنى العندليب .

٦ـ غنى العندليب فوق الشجر فملنا طرباً من ألحانه .

٧ـ طغى الماء مستكبراً فغرقت دورنا .

* * *

الاستعارة التمثيلية

تقول لمن يعظ الناس وينسى نفسه :

(أنت كالشمعة تُحرق نفسها لتضيء للناس) .

أو (أنت إبرة تكسو الناس وتبقى هي عارية) .

أو (أنت طبيب يداوي الناس وهو عليل) .

فهذه الأمثلة كلها « تشبيهات تمثيلية » مركبة لأن وجه الشبه فيها صورة مركبة ، فأنت لم تشبه الواعظ بالشمعة في النور فقط ، بل في حالة مركبة : من الإحراق للذات مع التنوير للغير ، وهكذا في الإبرة والطبيب .

لكنك إن قلت له ضارباً مثلاً ؛

١ـ (الشمع يحترق ليضيء للناس) .

٢ـ أو (من الأطباء من يداوي الناس وهو عليل) .

٣ـ أو (الإبرة تكسو الناس وتبقى عارية) .

كان ذلك « استعارة » لأنك حذفت المشبه وهو « أنت » وبما أن وجه الشبه « صورة مركبة » لا مفرد سميت : « استعارة تمثيلية » .

وهكذا جميع الأمثال المضروبة[١] .

---

(١) الأمثال المضروبة إن كان وجه الشبه فيها مركباً تسمى « استعارة تمثيلية » وإن كان الوجه مفرداً فهي من التشبيه الضمني .

القاعدة :

الاستعارة التمثيلية : ما كان فيها وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد مع حذف المشبه .

تمرين

بيِّن لمن تقال هذه الاستعارات التمثيلية :

١ـ تقدم رِجلاً وتؤخر أُخرى .

٢ـ عاد السيف إلى قِرابه ، وحَلّ الليث مَنيع غابِه .

٣ـ ومن يك ذا فمٍ مرّ مريضٍ يجد مراً به الماء الزلالا

٤ـ ألق دلوك في الدِّلاء .

٥ـ اليد لا تصفق وحدها .

٦ـ لا يلدغ المؤمن من جُحْر مرتين .

٧ـ لكل جواد كَبْوة ، ولكل صارم نَبْوة .

٨ـ المورد العذب كثير الزحام .

٩ـ القافلة تسير والكلاب تنبح .

* * *

المجاز المرسل

قد تستعير لفظ الشمس للرسول الكريم ﷺ لعلاقة المشابهة في التنوير ، فتقول : (بزغت شمس الوجود في مكة وغربت في المدينة) .

فيسمى هذا الإطلاق « استعارة » لوجود المشابهة .

أما إن قلت :

١ـ للرسول علينا (يد عظيمة) تريد « نعمة كبرى » ، لأن اليد « سبب » في إيصال النعمة .

٢ـ فكم دعا إلى الله قوماً جعلوا « أصابعهم » في آذانهم ، تريد « أناملهم » لأن الأصابع « كل » للأنامل .

٣ـ وجاهد وأرسل في غزواته « عيوناً » تريد « جواسيس » يكتشفون له خبر العدو ، لأن العين « جزء » من الجاسوس .

٤ـ وصحبه الذين « يئدون » البنات هم الذين ملؤوا الدنيا عدلاً ورحمة ، أي كانوا يئدون .

٥ـ وأبو سفيان الذي اشتد في حربه وعداوته « أبو الملوك في دولته » أي سيكون كذلك .

إذا قلت هذا لم يصح أن تكون مشبهاً لليد بالنعمة ، ولا أصابعهم بأناملهم ، ولا العين بالجاسوس ، ولا الصحب بالذين يئدون ، ولا أبا سفيان بأبي الملوك .

فما هذه العلاقة بين الملفوظ والمعنى المقصود في هذه الإطلاقات المرسلة؟

فنقول العلاقة :

أ ـ إما « السببية » في إطلاق « اليد » على « النعمة »[1]، لأن اليد سبب عادي في إيصال النعم للمحتاجين .

ب ـ وإما « الكلية » في إطلاق « أصابعهم » على أناملهم ، فالاصبع « كل » للأنامل .

جـ ـ وإما « الجزئية » في إطلاق « العين » على الجاسوس ، لأن العين « جزؤه » .

د ـ وإما « اعتبار ما كان » في « يتامى » ، لأنهم كانوا كذلك .

هـ ـ وإما « اعتبار ما سيكون » في « أبو الملوك » ، لأنه « سيكون » كذلك بعدُ .

و ـ وإما « الحالّية » في ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار : ١٣] . أي الجنة ، لأن النعيم « يحل » فيها .

ز ـ وإما « المحلية » في ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق : ١٧] . يريد « حزبه » ، لأن النادي « محلهم » .

ح ـ وإما « المسببية » في أمطرت السماء « حباً » تريد « مطراً » ، لأن الحب « مسبب » عن المطر .

ويسمى « المجاز » في جميع هذا « مجازاً مرسلاً » لأن العلاقة لم تكن مقيدة بالمشابهة في واحد مما ذكر ، بل هي غيرها من العلاقات .

---

(١) ويصح تسمية هذه العلاقة « آلية » فاليد آلة لإيصال النعمة أيضاً .

ملاحظة :

العلاقة هنا إنما تؤخذ وتسمى باعتبار الملفوظ المنقول عنه ، ولا تؤخذ من اعتبار المعنى المراد المنقول إليه ؛ وإليك المثال الموضح :

١ـ « نبع الماء » هذا « حقيقة » .

٢ـ « نبع البئر » هذا « مجاز مرسل » علاقتُه « المحلية » إذ البئر وهي الحفرة محل الماء النابع .

٣ـ « حفرت الماء » وهذا « مجاز مرسل » علاقته « الحالّية » لأن الماء حالٌّ في البئر المحفورة .

وهكذا في « أمطرت السماء حباً » نقول : العلاقة « المسببية » لأن الحب المذكور في لفظنا « مسبب » عن المطر الذي أردنا ، ولا يصح أن نقول : العلاقة السببية لأن المطر سبب ، إذ لا ذكر للمطر في لفظنا ، والعلاقة إنما يؤخذ اسمها من اللفظ المذكور فقط ، فلا تكن من المخلِطين ، ولا تعجل بذكر العلاقة قبل أن تذوق وتطبق .

القاعدة :

المجاز المرسل : كلمة استعملت في غير معناها لعلاقة مَّا غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

* * *

تمرين (١)

بيِّن علاقات المجاز المرسل فيما يلي :

١ـ دخلت الشمس من الكَوَّة .

٢ـ ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء : ٩٢] .

٣ـ رعت الماشية الغيث .

٤ـ ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ [غافر : ١٣] .

٥ـ انصرفتِ المدرسة .

٦ـ ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء : ٨٤] .

٧ـ أكلنا قمحاً ، ولبسنا قطناً .

٨ـ ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٧]

* * *

تمرين (٢)

فرق بين الاستعارة والمجاز المرسل والتشبيه واذكر العلاقة والمعنى المراد مما يلي :

١ـ ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء : ٢] .

٢ـ ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [يوسف : ٣٦] .

٣ـ إذا اعتاد الفتى خوض المنايا ... فأيسر ما يمر به الوُحولُ

٤ـ برزت الشمس من خدرها .

٥ـ شربت ماء الفرات .

٦ـ نلبس القطن صيفاً ، والصوف شتاءً .

٧ـ عَضَّنا الدهر بنابه ... ليتَ ما حلَّ بنا به

٨ـ قال ابن الرومي :

لا أركب البحر إني ... أخاف منه المعاطب

طين أنا وهو ماء ... والطين في الماء ذائب

* * *

الإسناد المجازي

أو المجاز العقلي

إذا قلت لمن تحب :

١ـ « يا سمعي ويا بصري » كان هذا مجازاً لغوياً مبنياً على التشبيه في النفع والشرف والقيمة ، فهو « استعارة » .

وكذا إذا قلت :

٢ـ « للملِكِ آذان في البلد وعيون » تريد جواسيس يوصلون إليه أخبار الناس ، كان « مجازاً لغوياً » لكنه ليس استعارة ، لأن الآذان والعيون لا يشبهان الجواسيس بل هما « جزء » هامٌّ في الجواسيس ، فهو « مجاز مرسل » علاقته « الجزئية » .

أما إن قلت :

٣ـ « قتل الجاسوس فلاناً » تريد قتَلَ الملِكُ فلاناً بسبب وشاية الجاسوس ، لم يكن هذا استعارة لأنك لم تشبه الجاسوس بشيء ، ولا مجازاً مرسلاً لأنك لم تطلق الجاسوس على الملِك ، بل تجوزت بـ « إسنادك القتل » إلى الجاسوس ، فيسمى هذا « إسناداً مجازياً » أو « مجازاً عقلياً »[1] .

---

(١) بمعنى أن العقل يمنع إسناد القتل حقيقة إلى الجاسوس النذل ، بل يسنده إلى الملك القوي الجبار .

تنبيهان :

أ ـ الألفاظ كلها في « المجاز العقلي » مستعملة فيما وضعت له ، وإنما « المجاز » في « الإسناد » لا في كل لفظ على الانفراد ، ولذلك يسمى : « إسناداً مجازياً » .

ب ـ قد يسند الفعل في « المجاز العقلي » إلى :

١ ـ سببه ، مثل : « قتل الجاسوس فلاناً » مع أن القاتل الملك

٢ ـ أو زمانه ، مثل : « أنبت الربيع البقل » مع أن المنبت هو الله تعالىٰ زمنَ الربيع .

٣ ـ أو مكانه ، مثل : « ازدحم الصف » مع أن المزدحم طلابه .

٤ ـ أو مصدره ، مثل : « يوسف جدَّ جِدُّه » مع أن الذي جد هو يوسف .

٥ ـ أو يسند المبني للفاعل إلى ضمير المفعول ، مثل : ﴿ عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [القارعة : ٧] . مع أنها مرضية ، فراضية اسم فاعل ، وفاعله يعود إلى العيشة المرضية ؛ والإسناد الحقيقي : « راضٍ صاحبُها » .

٦ ـ أو يسند المبني للمفعول إلى ضمير الفاعل ، مثل : ﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ [مريم : ٦١] . فمأتياً اسم مفعول وفيه ضمير يعود إلى الوعد ، وهو آتٍ لا مأتي .

القاعدة :

الإسناد المجازي : ويسمى ـ المجاز العقلي ـ هو : إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقته مع قرينة مانعة من إرادة الحقيقة ؛ والفرق بينه وبين المجاز اللغوي أن « العقلي » في الإسناد والتركيب ، و « اللغوي » في الكلمة[١] .

* * *

---

(١) وقد يصح في اللفظ اعتباره من المجاز المرسل (أي مجازاً في الكلمة) كما يصح اعتباره من المجاز الإسنادي (أي مجازاً في الكلام) ، وإليك المثال : « ازدحم الصف » تريد الطلاب :

أـ فإذا اعتبرت كلمة « الصف » مجازاً علاقته « المحلية » لأن الصف محلهم ـ كان مجازاً لغوياً مرسلاً في الكلمة علاقته « المحلية » .

ب ـ وإذا أردت بالصف حقيقة المكان ، واعتبرت المجاز في إسناد فعل « ازدحم » كان إسناد هذا الفعل إلى حجرة الصف « إسناداً مجازياً » أو « مجازاً عقلياً » لأن العقل لا يجيز إسناد الازدحام حقيقة للحجرة ، فالاسم يختلف بحسب اعتبار موضع المجاز من الكلام .

تمرين

وضح المجاز الإسنادي فيما تحته خط ، وبيِّن أصله وعلاقته :

١ـ ﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص : ٥٧] .

٢ـ صالت صولتُه .

٣ـ نهاره صائم ، وليله قائم .

٤ـ جرى النهر(١) .

٥ـ ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً .

٦ـ انفَضَّ المجلس .

* * *

(١) حقيقته : جرى الماء في النهر ، لكنا أسندنا الجري إلى حفرة النهر فكان « إسناداً مجازياً » علاقته المكانية .

ويصح أن نعتبر موضع المجاز كلمة « النهر » لأنه محل الماء ، فيكون « مجازاً مرسلاً » علاقته « المكانية » أيضاً .

فاللمجاز هنا اسمان باعتبارين : « مجاز مرسل » أو « إسناد مجازي » ولا يصح إرادتهما معاً .

تمرين عام

مَيِّز التشبيه من الاستعارة ، من المجاز المرسل ، من الإسناد المجازي مما يلي :

١ـ سهرنا ليلة سمعنا فيها مدائح الحبيب ، ترنم بها . . عندليب ، فترنح . . . السامعون ، ومالوا كالغصون هَزَّها النسيم ، ثم انصرف النادي وكلهم ألْسنٌ شكر وثناء .

٢ـ لا تكن أذناً تَقْبَلُ كلَّ وشاية .

٣ـ قال المتنبي يصف ملك الروم بعدما هزمه سيف الدولة :

ويمشي به العُكاز في الدير تائباً وقد كان يأبى مشي أشقر أجردا[١]

٤ـ وقال أيضاً يصف دخول رسول الروم على سيف الدولة :

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

٥ـ وقال الحجاج مهدداً أهل العراق :

إني لأرى رؤوساً قد أينعت[٢] وحان قطافها ، وإني لَصاحبها .

٦ـ ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ [هود : ٤٣] .

٧ـ الإسلام يحث على تحرير الرقاب .

٨ـ غاض الوفاء ، وفاض الغدر .

---

(١) أي أقام في دير الرهبان ، وصار يمشي على العكاز تائباً بعد ما كان لا يرضى مشي الجواد الأشقر الأصيل .

(٢) أينعت : نَضجت .

الكناية

إذا أردنا وصف شخص بالكرم فقلنا :

١ـ نزلنا ضيفاً على . . . بحر أغرقنا بكرمه ـ كان هذا مجازاً بالاستعارة يمتنع فيه إرادة الحقيقة لوجود القرينة المانعة ، وهي « نزلنا ضيفاً » .

٢ـ « نزلنا على رجل كثير الرَّماد » نكني بذلك عن كرمه وكثرة ضيفانه لأن كثرة الرماد تقتضي كثرة الطبخ ، وكثرة الطبخ تقتضي غالباً كثرة الضيوف ، كان هذا « كناية » عن كرمه ، إلا أن الحقيقة هنا جائزة غير ممتنعة ، فقد يكون الرجل الكريم كثير الرماد حقيقة ، وقد يكون كريماً لا رماد عنده لأنه يطبخ على الغاز أو الكهرباء مثلاً .

القاعدة :

الكناية : لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي غالباً .

* * *

أقسام الكناية

١ـ كناية عن موصوف :

الضـاربيـن بكـل أبيـضَ مِخْـذَمٍ والطـاعنيـن مجـامـع الأضغـان[١]

٢ـ كناية عن صفة :

قالت الخنساء في رثاء أخيها صخر :

طـويـل النجـاد ، رفيـع العمـاد كثيـرالـرمـاد إذا مـا شتـا[٢]

٣ـ كناية عن نسبة :

المَجْد بين ثوبيه ، والكرم مِلءُ بُرْدَيْه[٣] .

ملاحظة :

الفرق بين الكناية عن النسبة والكناية عن الصفة : أن كناية الصفة لا يصرح فيها بالصفة بل « تكنى » وتخبأ تحت لفظ آخر ؛ أما كناية النسبة فالصفة فيها صريحة ظاهرة ، وإنما النسبة إلى الشخص مثلاً مستورة بلفظ

---

(١) الأبيض : السيف ، والمخذم : القاطع . ومجامع الأضغان : كناية عن القلوب .

(٢) النجاد : حمائل السيف : كناية عن طول قامته . وارتفاع العماد : كناية عن شرفه وزعامته . وكثرة الرماد شتاء إذ تَنفَذُ المؤونة كناية عن كرمه ويسره .

(٣) كناية عن نسبة المجد والكرم إلى الممدوح .

غير صريح ، وبتأمل الأمثلة يتضح الفرق تماماً : فصفات الطول والزعامة والكرم مخبوءات تحت ألفاظ أخر في المثال الثاني .

أما صفتا المجد والكرم من المثال الثالث فمصرح بهما .

* * *

تمرين

بيِّن الكناية عن موصوف أو صفة أو نسبة فيما يلي :

١ـ قال المتنبي في وقيعة سيف الدولة ببني كلاب :

فمسّاهمْ وبُسْطُهُم حرير وصَبَّحَهُم وبسْطهمُ تراب[١]

ومن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضاب[٢]

٢ـ ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾[٣] [الزخرف : ١٨] .

٣ـ كبِرت سنك ، وجاءك النذير .

٤ـ اليمن يتْبَعُ ظلَّه والمجد يمشي في ركابه

٥ـ قال ﷺ : « أطولكن يداً أسرعكن لحوقاً بي » فكانت أسرعهن موتاً زوجه زينب لطول يدها بالصدقة .

٦ـ فلان نقي الثوب ، طاهر الذيل .

٧ـ فلان عريض القفا .

---

(١) كناية عن عزهم مساء ، وذلهم صباحاً بعد الغارة .

(٢) الشطر الأول كناية عن الرجال المقاتلين ، والثاني كناية عن النساء .

(٣) أي أجعلوا البنات لله وهن اللاتي يُربين في الزينة ، ولا يفصحن في خصومة؟

٨ـ ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء : ٣٧] .

٩ـ جاءت امرأة فقيرة إلى بعض الكرام فقالت :

(أشكو إليك قلة الفيران في بيتي) فقال : « ما أحسن هذه الكناية » املؤوا بيتها خبزاً وسمناً .

١٠ـ فلان لا يضع العصا عن عاتقه ، ولكن يسير الجودُ حيث يسير .

١١ـ ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ [الكهف: ٤٢] .

١٢ـ ضَربت سُرادِقَها المهابةُ فوقه   فـإذا بـدا بـادت بـه الأعـداءُ

١٣ـ فلان جبان الكلب مهزول الفصيل .

١٤ـ فلان نظيف اليد .

١٥ـ فلانة بعيدة مهْوَى القُرط .

١٦ـ لا يرفع الضيف عيناً في منازلنا   إلا إلـى ضـاحـك منـا ومبتسِـم

١٧ـ قال أبو تمام يَرثي شهيداً :

تـردى ثيـاب المـوت حُمْـراً ، فمـا أتـى
لهـا الليـل إلا وهـي مـن سنـدسٍ خضـرُ

* * *

بلاغة الكناية

من خواص الكناية أنها :

١ـ **تضع المعاني في صُوَر المحسَّات** : فالمزاح نصوره بـ « رسول الشر » ، والشيب بـ « نذير الموت » ، والبخل بـ « بياض المطبخ وراحة الخدم » ، والفقر بـ « قلة الفيران » ، ولا يخفى ما في ذلك من متعة ودُعابة ، وإيماء إلى الحقيقة مصحوبة بدليلها ، وفي طيها برهانها .

٢ـ **تشفي نفسك من خصمك** ، دون أن تجعل له إليك سبيلا ، فتعرِّض بافترائه ونفاقه إذ تقول : « أنا لا أكذب ولا أنافق » .

٣ـ **تستغني عن التصريح بالقبيح** ، وتكتفي أدباً بالتلويح ، كما في حديث عائشة رضي الله عنها : « ما رأيت منه ولا رأى مني » ، وكما قال الله تعالىٰ عن عيسى وأمه رداً على من زعم أنهما إلهان : ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] . معناه : ومن أكل مضطراً تخلى مضطراً ، وهذا لا يكون إلهاً .

(راجع البلاغة الواضحة (ص ١٣٣) ففيه ما يشفي ويكفي)

* * *

علم البديع

علم البديع

عرفت أن علم المعاني تُعرف به الحال التي تقتضي إيراد الكلام على صورة مخصوصة كالتأكيد ، أو الإيجاز ، أو الوصل ، أو غير ذلك .

وأن علم البيان وسيلة إلى تأدية المعنى بأسلوب التشبيه أو المجاز أو الكناية .

لكن هناك ناحية أخرى ليست من علم المعاني ولا البيان ، إلا أنها تزين الألفاظ أو المعاني بألوان « بديعة » من الجمال اللفظي أو المعنوي ، ويسمى العلم الجامع لهذه المحسنات بـ « علم البديع » .

ولقد ألف في هذا العلم المؤلفون ، وأسرف في أنواعه المسرفون ، وتكلف في اختراعها المتكلفون ؛ فضاع كثير من المعاني بين زحمة الألفاظ المصطنعة ، واختنق روح المعنى المراد تحت ركام ، من بارد الكلام .

والمعنى الجميل ، كالوجه الجميل ، لا يحتاج إلى طِلاء كاذب ، أو تجميل مصطنع ؛ وإن الأمر لكَمَا قال القائل :

وما الحُلْي إلا زينة لنقيصة يتمم من حسن إذا الحسن قصّرا
فأما إذا كان الجمال موفراً كحسنكِ لم يحتج إلى أن يزوّرا

لكن لابأس بقليل من التأنق والزخرف ، بشرط أن لا يكون هناك إسراف وتكلف . والأصل في الحُسْن أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني دون العكس .

إن المعنى الميت لا يهبه الحياة زخرف من القول . وإن العجوز الشمطاء لا ينفعها أن تتبرج أو تلبس الحرير ، أو تتحلى بالذهب ، ولن يستر الأخاديدَ في وجهها إسرافُها في طلائه بالأصباغ ؛ وإن أرادت بتصنعها هذا أن تلفت الناس إلى الإعجاب بجمالها المزيف انجذبت أنظارهم إليها ولكن بالاشمئزاز منها ، والازدراء والتندر بها .

* * *

المحسنات

أولاً ـ المُحَسِّنات اللفظية

المحسنات قسمان : لفظية ، ومعنوية .

والمحسنات اللفظية : لا تقع موقعها من الحسن إلا إذا طلبها المعنى ؛ لذلك لا يجمل الاسترسال فيها والولع بها ، لأن المعاني لا تدين للألفاظ في كل موضع ، ولا تنقاد لها في كل حين .

منها : الجناس ـ الاقتباس والتضمين ـ والسجع والموازنة .

١ ـ الجناس

الجناس هو : أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى ، وهو أنواع : تام ، وغير تام ، ومُصَحَّف .

ـ **فالتام** : أن يتفق اللفظان في أربعة أمور : عدد الحروف ، ونوعها ، وشكلها ، وترتيبها ، مثل : سميته يحيى ليحيا .

ـ **وغير التام** : ما اختلف لفظاه في :

أ ـ عدد الحروف :

إن البكـــاء هـــو الشفـــاء من الجوى بين الجوانح

ب ـ أو نوعها : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾

[الضحى : ٩] .

جـ ـ أو شكلها : هلا نَهَاكَ نُهاك عن لوم الأبرار .

د ـ أو ترتيبها : ألا فرق عندك بين بني التقَى والفجار؟

هـ ـ أو نقطها : قصر ثوبك ، فإنه أتقى وأبقى وأنقى .

والجناس بقسميه غير مرضي إلا ما جاء عفواً سمَحَ به الطبع بلا تكلف ؛ وإلا أدى إلى التعقيد ، وحال دون فهم المعنى .

ومن الجناس « جناس الاشتقاق » قال ﷺ : « غِفار غفر الله لها ، وأسلمُ سالَمها الله ، وعُصَيَّة عصت الله ورسوله » .

* * *

تمرين

بيِّن نوع الجناس وسببه مما يلي :

١ـ « اللهم كما حسنت خَلْقي فحسن خُلُقي »

٢ـ « الخيل معقود بنواصيها الخير »

٣ـ دارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

٤ـ من بحر شعرك أغترف وبفيض علمك أعترف

٥ـ فلم تضع الأعادي قدرَ شاني ولا قالوا : فلان قد رشاني

٦ـ ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام : ٢٦] .

٧ـ طَبْعُ الناس مُعاداة المعادات

٨ـ ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ [غافر : ٧٥]

٩ـ لم نلق غيرك إنساناً يُلاذ به فلا برِحْتَ لعين الدهر إنسانا

١٠ـ ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ [المائدة: ٨٣] .

١١ـ سائلُ اللئيم يرجع ودمعه سائل

١٢ـ قال الحريري :

تباً لطالب دنيا ثنى إليها انصبابه
ما يستفيق غراماً بها وفرط صَبابَه
ولو درى لكفاه مما يروم صُبابه(١)

١٣ـ لا تَعْرِضنّ على الرواة قصيدة ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فإذا عرضت الشعر غير مهذب عدُّوه منك وساوساً تهذي بها

(١) صبابه : أي بقية الماء في الإناء.

الجناس المصَحَّف :

إذا اتحد اللفظان في الرسم والشكل والعدد والترتيب ، واختلفا في النقط فقط سمي الجناس مُصَحَّفاً :

١ـ ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٧٩ـ٨٠] .

٢ـ « يسِّروا ولا تعسِّروا ، وبشِّروا ولا تنفروا »

٣ـ عن عمر رضي الله عنه « لو كنت تاجراً ما اخترت غير الطيب : إنْ فاتني ربحه لم يفتني ريحه »

٤ـ خُلفُ الوعْد خُلُقُ الوَغْد

٥ـ لا تُعَوِّلْ على أخبار الأحبار

٦ـ لا تبع التين بالتبن

٧ـ حدثوني عن نسمة الأسحار وغناء الطيور في الأشجارِ

٨ـ قلبي بحبكم مَغْمور ، وبفضلكم مغمور

وقد يكون مع اختلاف النقط اختلاف حركات :

أ ـ حَمْزة ، حُمرة ، جَمْرة . قال بعضهم :

يا حمزة اسمح بوصل وامنن علينا بقرب
في خدك اسمك أضحى مصحفاً ، وبقلبي

أي في خدك حُمْرة ، وفي قلبي جَمْرة .

ب ـ زُيِّنَتْ زَيْنَبٌ بِقَدٍ يَقُدُّ .

جـ ـ غَرَّكَ عِزُّك ، فاخْشَ فاحِشَ فعلك .

ملاحظة : الجناس المصحَّف يرجع في حقيقته إلى الجناس الناقص ، إذ باختلاف النقط يختلف نوع الحرف ، أو نوعه مع حركته .

اتهموا المطبعة لتفهموا

أ- إنَّ التصحيف كما يكون لنكتة مقصودة بديعية ، قد يكون خطأً من الناسخ أو غلطة مطبعية ؛ فلذلك يجب الانتباه واتهام المطابع أو الناسخ ، وتقليب العبارة على وجوه ليزول اللَّبس ونفهم المعنى ، لاسيما إن علمنا أن النَّقْط والشكل لم يرافقا اللغة العربية من بدء نشأتها ، وأنها كانت تعتمد أول أمرها على ذكاء العرب ، وحِدَّة أذهانهم ، وإليكم الأمثلة :

١- قرأ بعضهم : « ولا تنكِحوا المشركين حتى يؤمنوا » ففتح التاء أي لا تتزوجوا المشركين فقال الأعرابي : والله لا ننكحِهم ولو آمنوا ، أعِدها فأعادها على الصواب ، « ولا تُنكحوا » أي تُزَوِّجوا .

٢- قرأ آخر : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله ، والله غفور رحيم » فقال الأعرابي : ما هذا بكلام الله ، أعد ما تقرأ ، فأعادها على الصواب : « والله عزيز حكيم » فقال الأعرابي : نعم عَزَّ فحكم فقطع ، ولو غفر ورحم لعفا .

٣- قرأ بعضهم : « فضُرب بينهم بِسنَّور له ناب » وإنما هي « بسور له باب » .

٤- بليد تعدى حَدَّه ، فتصدى لقراءة الحديث بأسانيده ، فرأى هذه العبارة : « حدثنا يحيى بن يحيى » وكانت مغلوطة النقاط سقيمة الكتابة فقرأها هكذا : « حدثنا بختي بن تحتي » فكان ضُحْكة للسامعين .

٥ـ بليد آخر قرأ الأثر الوارد في مدح ابن مسعود : « كُنيف ملىء علماً » أي خُرج ممتلىء ، فقرأها للأسف : « كَنيف » وكان حقه أن يتوقف قبل أن ينطق ويقيء .

ب ـ إنَّ الكتب الخطية والمطبوعة خالية من أدوات الترقيم : الفاصلة ، والنقطة ، والنقطتين ، وإشارة الاستفهام أو التعجب ، وغير ذلك من المصطلحات المعينة للقارىء على الفهم بسهولة ، كترك بقية السطر دون كتابة إذا انتهى الكلام ، والبدء في سطر جديد مع ترك بياض أوله يتسع لكلمة ، بل ربما فرقوا حروف كلمة واحدة فباعدوا بينها ، وربما عكسوا فألصقوا حرفاً من كلمة بما قبلها أو بعدها ففسد المعنى ، وربما باعدوا بين كلمتين يجب اقترابهما ، أو قربوا بين كلمتين يجب انفصالهما .

فأصبح من واجب القارىء أن لا يعجل ، وأن يلاحظ المعنى قبل أن ينطق باللفظ ، وأن يُعْمِلَ عقله وحيلته حينما يلتبس عليه الوجه الصحيح ، فيصبر حتى ينفتح له طريق الصواب ؛ وإلا كان عرضة للتندر بقراءته ، والهزء بغباوته .

* * *

٢ ـ الاقتباس والتضمين

أ ـ **الاقتباس** : تزيين النثر أو الشعر بشيء من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير تنبيه على الأصل المأخوذ منه .

ويجوز أن يغير في الأصل قليلاً ، مثل :

رحلوا فلستُ مسائلاً عن دارهم   أنا « باخع نفسي على آثارهم »

ب ـ **التضمين** : هو تزيين الشعر بشيء من شعر الغير مع التنبيه على الأصل مثل :

على أني سأُنشد عند بيعي   « أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا »

ومثل :

تصدَّر للتدريس كلُّ مهوَّسٍ   بليدٍ ويُدعى بالفقيه المدرسِ
فَحُقَّ لأهل العلم أن يتمثلوا   ببيت قديم شاع في كل مجلس :
« لقد هُزِلت حتى بدا من هُزالها   كُلاها وحتى سامها كل مُفلسِ »

تنبيه :

الاقتباس منه مقبول شريف ، ومنه مردود سخيف ؛ فالمقبول ما كان أديباً نافعاً في الحكمة مهذباً للأخلاق ؛ والمردود بل المحرم ما كان للغزل الماجن مما فيه استخفاف بالدين وإسفاف .

إن هذا القرآن العظيم بالحق أنزله الله وبالحق نزل ، ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾ [الطارق: ١٣ـ١٤] .

وهذا الماجن المقتبس من القرآن يخوض فيه ويلعب ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم ﴾ [التوبة: ٦٥ـ٦٦] .

أمثلة من الاقتباس المقبول والتضمين

١ـ أيهـا السـائـل قـومـاً ما لهـم فـي الخيـر مـذهـبْ
أتـــرك النـــاس جميعـــاً « وإلـــى ربـــك فـــارغـــب »

٢ـ اعبــــد الله ودع عنـــك التـــوانـــي بـــالهجـــود
ومـــن الليـــل فسبحــــه وأدبـــار السجــــود

٣ـ لا تُعادِ الناس في أوطانهم قلما يُـرعـى غـريـب الـوطـنِ
وإذا مـا شئـت عيشـاً بينهـم « خـالـق النـاس بخلـق حسـن »

٤ـ لا تغرَّنَّك من الظلمة كثرة الجيوش والأنصار ، « إنما نؤخِرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » .

٥ـ اغتنم فَوْدَك الفاحم[1] قبل أن يَبْيَضّ ، فإنما الدنيا « جدار يريد أن ينقضّ »

٦ـ لا تكن ظالما ولا ترضَ بالظلـ ـم وأنكـر بكـل مـا يستطـاعُ
يـوم يـأتـي الحسـاب « ما لِظلـو مٍ مـن حميـم ولا شفيـع يطـاعُ »

٧ـ إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جُرم « فصبر جميل »
وإن تَبَـدَّلْـتَ بنـا غيـرنـا « فحسبنـا الله ونعـم الـوكيـل »

٨ـ قال الشيخ يوسف النبهاني في قصيدته التي وازن بها قصيدة كعب : بانت سعاد ؛

إن كان متبول قلب يوم أنشدكم « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول »

---

(١) شعرك الأسود .

٣ـ السجع والموازنة

أ ـ السجع :

البلبل يُنوِّع أنغامه ، ويُقلِّب صوته في صفيره ، فيسمى ذلك تغريداً ؛ أما الحمامة فهَديلُها بنغم واحد ، وصوت لا يختلف ، فيسمى صوتها « سجعاً » .

والسجع في علم البديع : توافق الفاصلتين[1] في الحرف الأخير .

وموطن السجع النثر ، وقد يكون في الشعر مثل قول الأبوصيري في مدح أجمل العالمين عليه صلوات الله وسلامه :

كالزهر في ترف ، والبدر في شرف   والبحر في كرم ، والدهر في همم

ويسمى السجع في الشعر ترصيعاً .

ولا يحسن السجع إلا إن كان رصين التركيب سليماً من التكلف ، خالياً من التكرار في غير ما فائدة .

أما السجع الطويل المتكلف فبارد ثقيل مرفوض ، وهو كليل الصدود الذي قيل فيه :

موحش كالثقيل تقذَى به العيـ   ـن وتـأبـى حـديثـه الأسمـاعُ

وأفضل السجع ما تساوت فِقَره ، ولا بأس أن تطول الفقرة الثانية على الأولى ، أما العكس فلا يحسن .

والأسجاع مبنية على تسكين أواخر فواصلها كالوقف ، ولا يصح وصلها ولا تحريكها ، بل يذهب ذلك بجمالها وحسن إيقاعها .

---

(١) تسمى الكلمة الأخيرة من كل فقرة : فاصلة .

تمرين

ميِّز جيِّد السجع من ركيكه فيما يلي :

١ـ المرء بآدابه ، لا بزيه وثيابه .

٢ـ الحمد لله الذي جعلنا خير أمم ، أمة مرحومة مغفورة مثابة غاية كرم .

٣ـ كتب ابن الرومي إلى مريض :

أذن الله في شفائك ، وتلقّى داءك بدوائك ، ومسح بيد العافية عليك ، ووجّه وفد السلامة إليك ؛ وجعل علتك ماحية لذنوبك ، مضاعفة لمثوبتك .

٤ـ قال بعضهم في تقريظ كتاب قديم في فن البديع :

نحمدك اللهم على ما أطلعتنا من بديع هذه الفرائد التي عزَّ لها مراعاة النظير ، وأوقفتنا على افتنان تفريع هذه الفوائد التي حسنت منها نوادر تدبيج التفويف والتصدير ؛ ونصلي ونسلم على من اتسم بالاشتقاق من مفخر مصادر العرب ، ووُسم بختم فص الرسالة والبعث بالقول الموجَب . . .

٥ـ قال ﷺ : بادروا بالأعمال سبعاً ، ما تنتظرون إلا فقراً مُنسِياً ، أو غِنىً مُطْغِياً ، أو مرضاً مُفسِداً ، أو هرماً مُفنِداً ، أو موتاً مُجهزاً ، أو الدجال فإنه شر مُنتظر ، أو الساعة ، والساعة أدهى وأمر .

ب ـ الموازنة :

هي تساوي الفواصل في الوزن والجَرْس دون الحرف الأخير .

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[1] [الغاشية : ١٥ـ١٦] .

٢ ـ قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾[2] [النبأ : ٩ـ١٢] .

٣ ـ قال الله تعالى : ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ١٩ـ٢٢] .

* * *

---

(١) النمارق : جمع نُمْرُقة : الوسادة ، الزرابيُّ جمع زربي : البساط ، مبثوثة : ممدودة .

(٢) سباتاً : قاطعاً لأتعابكم ، راحة لأبدانكم .

ثانياً ـ المُحَسِّنات اللغوية

١ ـ التورية

التورية والموارة : التغطية والستر ، ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ [الأعراف : ٢٦] . يسترها .

والتورية في علم البديع : أن تطلق لفظاً له معنيان :

أحدهما قريب ظاهر لا تريده .

والآخر بعيد خفي هو الذي تريده إلا أنك تستره وتغطيه بالقريب المتبادر من لفظه ، وقد تمهد لهذه التغطية بكلمة سابقة .

وتسمى التورية « إيهاماً » . وإليك الأمثلة :

١ ـ كان أبو بكر رضي الله عنه كثير الأسفار معروفاً ، فلما هاجر مع رسول الله ﷺ جعل من يعرفه يسأله : مَن هذا معك؟ فيجيب « هادٍ » يهديني « الطريق » فيحسبونه دليلاً يرافقه كيلا يضل الطريق ؛ وهو يريد المعنى البعيد ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى : ٥٢] .

ففي كل من كلمتي : « هاد » و « الطريق » تورية وإلغاز .

٢ ـ رأى رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من العدو فسألهما مِمَّن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ : إن أخبرتنا عما نسألك أخبرناك ؛ فبعد أن أخبرهما عما يريدان قال : قد أخبرتكما فأخبراني مِمَّن أنتما؟ فأجاب الرسول ﷺ : « نحن من ماء » وانطلقا مسرعين ، فظن الرجل أنهما من قبيلة تدعى ماء ، وإنما أراد بالماء النطفة .

٣ـ قال نصير الدين الحمامي :

أبيــات شِعْــرك كــالقصــو ر ولا قصــور بهــا يعــوق
ومـــن العجـــائـــب لفظهـــا حـــر ومعنـــاهـــا « رقيـــق »

فكلمة « رقيق » لها معنيان : « مملوك » وهذا المعنى قريب متبادر لاسيما وقد مهد له بكلمة « حر » لكنه لم يرد هذا المعنى ، بل جعله مع تمهيده سِتراً « يواري » به المعنى الذي أراده وهو « الرقة واللطف » . وهو المعنى الثاني .

تنبيه :

الفرق بين الجناس والتورية أن الجناس لفظان بصورة واحدة لكن معناهما مختلف . فمثلاً : كالقصور ولا قصور بها : تكررت كلمة القصور مرتين ، ومعناها في الأولى جمع قصر ، وفي الثانية : التقصير ، فالمعنيان مختلفان ومرادان ، واللفظان تكررا بصورة واحدة ، فكان جناساً .

أما التورية فلفظ واحد له معنيان يراد أبعدهما ، مثل كلمة « رقيق » في البيت الثاني هي لفظ واحد : معناه القريب مملوك ، وهو غير مراد ، ومعناه البعيد : لطيف نفيس ، وهو المراد .

* * *

تمرين

بيِّن المعنى القريب والبعيد من التورية فيما يلي :

١ـ قال الشيخ يوسف النبهاني يصف اختباء رسول الله ﷺ في غار ثور :

واستكنَّ البدر المنير بثورٍ ... لم يَضِرْه من العدا عَوّاءُ[١]

٢ـ وقال :

هواي طيبة لا بيضاء عُطبول[٢] ... ومنيتي عينها الزرقاء لا النيل

٣ـ وقال أيضاً يصف الذين عارضوا « بانت سعاد » في مدح سيد العباد :

خاضوا بمدحك هذا البحر ما بلغوا ... كعباً فعاد لهم بالعجز تخجيل

أستغفر الله كلٌّ قد أجاد وهم ... كلٌّ رؤوس لهم بالفوز تكليل

لكن لكعبك يا خير الأنام على ... رؤوسنا ثابت فضل وتفضيل

٤ـ وقال يشتاق مكة :

أمُّ القرى لست أنسى إذ تُقَربني ... والدمع من فرحي في حِجْرها صَبَبُ

٥ـ وقال يشتاق المدينة :

قال لي متى العذراء[٣] ترضى ... ولُبانة[٤] المشتاق تُقْضى

---

(١) البدر : القمر ومن أسمائه ﷺ ، وثور من بروج القمر وجبل بمكة ، والعواء من منازل القمر والكلب .

(٢) العُطبول : الجميلة الطويلة العنق .

(٣) العذراء : البكر ومن أسماء المدينة المنورة .

(٤) اللبانة : الحاجة .

٦ـ وقال في مدحه ﷺ :

بـه زَيَّـن الله الـوجـود بخـاتـم ... لأعظمِ أفلاك السمـا نعلُه قُرطُ

٧ـ قال سراج الدين الورّاق :

أصـون أديـم وجهـي عـن أنـاس ... لقـاء المـوت عنـدهـم الأديـبُ

وربُّ الشعـر عنـدهـم بَغيـضٌ ... ولـو وافى بـه لهـمُ « حبيـب »[(١)]

* * *

(١) يريد أبا تمام الشاعر لأن اسمه حبيب بن أوس .

٢ـ الالتفات

أقسامه ـ فائدته

الالتفات : أصله تحويل الاتجاه كما يلتفت المصلي بوجهه عند سلامه وانصرافه من صلاته .

والالتفات في علم البديع : أن يُحَوَّل اتجاه التعبير من أسلوب التكلم أو الخطاب أو الغَيبة إلى أسلوب آخر ، وإليك المثال :

١ـ قال مؤمن آل ياسين : ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس : ٢٢] . فأنت ترى أن أسلوب التكلم كان يقتضيه أن يقول : « وإليه أرجع » ليكون الكل بنسق واحد : نسق المتكلم ، لكنه بعد ما تحدث عن نفسه التفت إلى قومه ، فخاطبهم محذراً : « وإليه ترجعون » .

٢ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ . إن العلماء جعلوا الاسم الظاهر[1] كضمير الغائب ، فكان مقتضى التعبير أن يقول : إياه نعبد ، إلا أنه التَفت إلى الخطاب لنكتة بلاغية ، وإليك بيانها :

إن المصلي يكون في بدء فاتحته ذاهل الفكر ، غافل القلب ، غائباً عن ملاحظة القرب من الرب ، لكنه بعد أن يبدأ بحمد الله والثناء عليه بصفاته العلية صفة إثْر صفة يزداد خشوعاً ، ويشعر بأنه يقترب جداً من

(١) الاسم الظاهر هنا : الله ، رب ، الرحمن . . .

معبوده شيئاً فشيئاً حتى صار كأنه بين يديه ، وكأنه يراه عِياناً ، فلقد فُتِح له الباب ، وزال عن عينيه الحجاب ، لهذا خاطبه بالعبادة ، وسأله الهداية والسعادة ؛ مصداق هذا قوله ﷺ : « اعبد الله كأنك تراه » .

أقسام الالتفات :

١ـ انصراف عن التكلم إلى الخطاب : ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس : ٢٢] . لم يقل وإليه « أرجع » .

٢ـ انصراف عن التكلم إلى الغيبة : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر : ١ـ٢] . لم يقل « لنا » ولا تنس أن العلماء جعلوا الاسم الظاهر ـ الرب ـ كضمير الغائب .

٣ـ انصراف عن الخطاب إلى التكلم ، كمعاتبة المرء نفسه : ضيعتَ عمرك فيما يضرك ولا ينفعك ، ثم يقول نادماً : ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر : ٢٤] .

٤ـ انصراف عن الخطاب إلى الغيبة : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس : ٢٢] . بدلاً من « بكم » .

٥ـ انصراف عن الغيبة إلى الخطاب : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة : ٢ـ٥] . بدلاً من « إياه » .

٦ـ انصراف عن الغيبة إلى التكلم : ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ﴾ [فاطر : ٩] . بدلاً من « فساقه » .

تنبيه : شرط الالتفات أن يكون في جملتين لا في جملة واحدة ، فلا التفات في قولك : أنت صديقي .

فائدة الالتفات :

قالوا إن الكلام إذا نقل من أسلوب لآخر كان أبعث لنشاط السامع ، وأدعى إلى إصغائه وجذب انتباهه ، لأن النغم الواحد مملول كالحديث المعاد ، وقديماً قالوا : لن نصبر لك على طعام واحد .

لكن للالتفات مواقع لطيفة ، واعتبارات شريفة ، جديرة بالبحث عنها ، والالتفات إليها ، وإليكم جانباً منها :

١ـ قال تعالىٰ في شأن الإعراض عن الأعمى ، والتشاغل بزعماء قريش ليقبلوا الإيمان :

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس : ١ـ٥] .

هنا التفات من أسلوب الغيبة «عبس» إلى الخطاب : «وما يدريك» . . فأنت له تصدى . . .» ولولا الالتفات لقيل «وما يدريه» .

تأمل تجد أن تنشيط السامع لا قيمة له في الالتفات هنا ، لكن السر يكمن في شيء آخر : هو لطف الرب الكريم بالرسول العظيم في موضوع عتاب لو فاجأه به من الأول بأسلوب الخطاب لانصدع فؤاده ، لأن رسول الله ، أعلم الخلق بالله ، وأشد الخلق خشية لله ، فكان بدء العتاب في صورة الحكاية عن شخص غائب ، وما كان الخطاب بالعتاب إلا بعد هذا التعريض الكريم والإيقاظ اللطيف .

٢ـ قال تعالىٰ في قبول الفداء عن أسرى بدر : ﴿ما كان «النبي» أن يكون له أسرى حتى يثخن[1] في الأرض، «تريدون» عرض الدنيا﴾ [الأنفال : ٦٧] .

---

(١) يثخن : يمعن في قتل الطغاة .

تجد هنا التفاتاً من الغيبة : « لنبي » ـ لأن الاسم الظاهر في حكم الحكاية عن الغائب ـ والتفت عنه إلى الخطاب : « تريدون » ولم يصدّر العتاب بالخطاب ؛ ولما وصل إلى الخطاب جمعه مع غيره « تريدون » ليَخِفَّ وقع المؤاخذة .

٣ـ قال تعالىٰ معاتباً حبيبه في شأن الإذن للمنافقين بالتخلف عن الجهاد ؛ ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٣] .

تأمل هنا لا تجد التفاتاً ، بل تجد صيغة الخطاب بالعتب من البدء ، لكنه مسبوق بالعفو ، ومقرون بالملاطفة في صورة الاستفهام .

٤ـ قال تعالىٰ في ركوب الكفار البحر :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾[1]

[يونس : ٢٢ـ٢٣] .

تأمل بلاغة الالتفاتين هنا وجمال الأسلوب :

خاطبهم أول ركوب الفلك : « كنتم في الفلك » لأنهم لم يبعدوا ؛ فلما أقلعت بهم الفلك وابتعدت في البحر التفت عنهم متحدثاً بضمير الغيبة البعيد : « وجرين بهم » « وفرحوا » « وجاءهم الموج » «وظنوا. . . » « دعوا. . . » ؛ ثم لما أنجاهم من البحر ،

(١) الفلك هنا جمع بمعنى السفن ، وضمير جرين يعود إليها .

ووطئت أقدامهم البر ، إذا هم يبغون في الأرض ، فالتفت إليهم ثانياً وخاطبهم بعقوبة جرمهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [يونس : ٢٢] . كما يُصْدِر الحاكمُ حكمَه الأخير ، فيقذف بكلمة الإعدام في وجه المجرم الخطير .

* * *

٣ـ الاستخدام

الاستخدام : أن يذكر اللفظ بمعنى ، ويعاد عليه ضمير أو ضميران أو إشارة بمعنى آخر :

١ـ إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غِضابا

أراد بكلمة « السماء »[1] المطر ، وأعاد ضمير « رعيناه » عليها بمعنى النبات .

٢ـ فسقى الغضى والساكنيه وإن همو شبُّوه بين جوانحي وضلوعي

الغضى : شجر بالبادية ، وأعاد أولاً ضمير ساكنيه على الغضى بمعنى ساكني مكان الغضى ؛ وأعاد ثانياً ضمير شبوه على الغضى يريد شبّوا ناره .

٣ـ وللغزالة شيء من تلفُّته ونورها من ضيا خديه مكتسَب

الغزالة لها معنيان : أنثى الغزال والشمس ، فذكرها أولاً بمعنى الحيوان المعروف الذي عرف بلفتاته الحلوة ، ثم أعاد الضمير عليها « ونورها » بمعنى الشمس .

٤ـ رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره متيم لج في الأشواق خاطره

فالعقيق : حجر نفيس أحمر يتزين به ، وأعاد الإشارة إليه : « فأجرى ذاك » بمعنى أجرى الدمع الأحمر بشكل العقيق .

---

(١) وقد يكون المعنى الأول مجازياً كما في هذا المثال .

٥ـ أقر الله بك عيناً ، وكفاك شرها ، وأجرى لك عذبها ، وأكثر لك تبرها

أصل معنى العين : المبصرة ، وقد يراد بها : الجاسوس ، والنابعة ، والذهب ، فأراد بالكلمة الأولى العين المبصرة ، وأعاد ضمير « شرها » عليها بمعنى الجاسوس ، وضمير « عذبها » بمعنى الجارية ، وضمير « تبرها » بمعنى الذهب .

٦ـ رحلتم بالغداة فبتُّ شوقاً أسائل عنكمُ في كل نادي
أراعي النجم في سيري إليكمْ ويرعاه من البَيْدا جوادي

النجم في السماء معروف ، وأعاد ضمير « يرعاه » على النجم بمعنى النبت في الأرض المقابل للشجر ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾ [الرحمن: ٦] .

* * *

٤ـ المشاكلة

المشاكلة : هي في اللغة المماثلة ، واصطلاحاً : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، مثل: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤]. أي دمر الله مكرهم .

١ـ ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشورى : ٤٠] . فالمجازاة على السيئة بمثلها ، ليست حراماً وإن كانت بشكلها ، ويكفي في الإرشاد إلى العفو وترك المجازاة أن الله الحكيم سماها سيئة ، فيفهم من ذلك أن العفو أقرب للتقوى ، وأسلم من البلوى .

٢ـ ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾ [المائدة : ١١٦] . أي ما تخفيه عندك ، لأننا قد نخفي في أنفسنا عن بعضنا ما لا يعلمه غيرُ خالقنا ، أَما ما أخفاه ربنا عنده عنا ، فلا يعلمه أحد منا .

٣ـ ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ [البقرة : ١٩٤] . أي فعاقبوه بمثل عدوانه ، فعدل عن هذا اللفظ لأجل المشاكلة ، ولينفرنا من القصاص الذي سماه عدواناً لأنه بشكله وإن خلا عن إثمه .

٤ـ ألا لا يجهلــنْ أحــد علينــا   فنجهــلَ فــوق جهــل الجــاهلينـا

٥ـ قالوا اقترح شيئاً نُجد لك طبخه   قلــت اطبخــوا لــي جبــة وقميصــا

أي خيطوا لي جبة وقميصاً ، فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة « طبخه » ، وليفهمهم أن الكسوة أهم لديه ، من كل ما يَعْرضونه من طعام عليه .

٦ـ يحكى أن شخصاً ظريفاً نزل ضيفاً على آخر من أرباب الفنّ ، فظل يسمعه من أنواع الغناء ما شاء ، من الصباح إلى المساء ، دون أن يقدم إليه شيئاً من طعام ، وأخيراً لما قتله الجوع ، وقال صاحب البيت : أيَّ نغم تحب أن تسمع؟ ـ قال : أحب نغم المقْلِيْ .

فالمقلي لا نغم له ، وإنما جاء الضيف بهذه الكلمة « للمشاكلة » وإشارةً إلى أن مشكلته أصبحت لا تحل بالأنغام ، بل لا يحلها إلا الطعام .

* * *

٥ـ مراعاة النظير

ويسمى التناسب

مراعاة النظير : هي أن نَقرِنَ بين أمرين أو أمور متناسبة ، لجهة جامعة :

١ـ والطَّلُّ في سلك الغصون كلؤلؤ رطب يصافحه النسيمُ فيسقطُ
والطير يقرأ ، والغدير صحيفة والريح تكتب ، والغمام يُنَقِّطُ

تأمل في البيت الثاني مراعاة النظير ، وجمال التصوير : الطيور ترسل أنغامها وتقرأ أورادها ؛ من صحيفة الغدير البيضاء اللامعة ، والريح تهب نسماتها الرقيقة الناعمة على صحيفة الغدير لترسمها خطوطاً بديعة السطور ، والغمام ينزل بالنقاط اللطيفة ، على هاتيك الخطوط الظريفة .

أما البيت الأول فيصور الندى على الغصون كأنه عِقد لؤلؤ نُظِم في سلك لطيف ، يهب عليه النسيم العليل : يحييه ويصافحه ، فإذا به يَسَّاقط على الأرض وينفرط .

٢ـ ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾ [الرحمن : ٥ـ٦] .

الشمس والقمر كوكبان منيران ، قدّر الرحمن بروجهما ومنازلهما ، لتعلموا عدد السنين والحساب ؛ وبين الشمس والقمر جهة جامعة في التنوير والتقدير ؛ فيسمى هذا : مراعاة النظير .

أما النجم فالمراد به النبات الذي ينجم من الأرض ولا ساق له كاليقطين بدليل مقابلته بالشجر الذي له ساق ، وكلاهما ساجد له منقاد لما يريده منه ، فبينه وبين الشجر تناسب أيضاً ، وجهة جامعة في أن كلاً مما ينبت في الأرض ، ويطيع خالق السماء والأرض .

٦ـ الطباق
ويسمى التضاد

الطباق : هو الجمع بين كلمة وضدها في الكلام ، فهو عكس التناسب .

١ـ قال الله تعالىٰ : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف : ١٨] . أي تظن أصحاب الكهف النائمين أيقاظاً لا نائمين ؛ لأن عيونهم مفتحة ، ويتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ، ولما كان الأيقاظ ضد الرقود سمي هذا : « طباقاً » .

٢ـ وقال ﷺ : « خير المال عين ساهرة لعين نائمة » فالساهرة ضد النائمة ، وهذا طباق .

وفي الحديث نوع آخر من البديع : هو الجناس بين كلمتي : عين وعين . فالأولى عين النبع الجارية على الدوام ليلَ نهارَ ، والثانية عين مالكها التي تنام آمنة مطمئنة ؛ لأن الأولى الساهرة تعمل لحسابها أبداً .

وفي الحديث نوع ثالث من البديع : هو الموازنة بين كلمتي : ساهرة ونائمة .

فصلوات الله وسلامه ، على أبلغ العباد ، وأفصح من نطق بالضاد

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة   حديثك الشهد عند الذائق الفهم

جمع في كلمات قليلة أنواعاً من جمال التعبير ، والإشارة إلى وجوب شكر مَن سخر لنا هذا التسخير .

أقسام الطباق :

ينقسم الطباق إلى قسمين :

١ـ **طباق الموافقة** : وهو أن يجتمع الضدان مع اتحاد التعبير سلباً أو إيجاباً .

١ـ قال تعالىٰ : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام : ١٢٢] . ضدان إيجابيان .

٢ـ قال تعالىٰ : ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه : ٧٤] . ضدان سلبيان .

٢ـ **طباق المخالفة** : هو أن يجتمع الضدان مع الاختلاف بينهما سلباً وإيجاباً ، بأن يكون أحدهما موجباً والآخر منفياً :

١ـ قال تعالىٰ : ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء : ١٠٨] .

٢ـ قال تعالىٰ : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم : ٦ـ٧] .

* * *

تمرين

بيِّن طباق الموافقة من طباق المخالفة فيما يلي :

١ـ على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلُص منه لا عليّ ولا ليا[1]

٢ـ قال تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ [النجم : ٤٣] .

٣ـ قال تعالىٰ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

٤ـ فليس سواءً عالم وجهول

٥ـ قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

٦ـ قال تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

٧ـ قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾ [فاطر : ١٩ـ٢٢] .

* * *

(١) طباق بين الحرفين ، لأن في عليّ معنى التضرر . وفي اللام معنى الانتفاع ، وهذا طباق موافقة لتوافق الطرفين في النفي ، وعلماء البديع يسمونه : طباق الإيجاب مع أنه منفي ، أما تسميتنا فلا إشكال فيها .

٧ـ المقابلة

المقابلة : أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب .

١ـ قال صلوات الله وسلامه عليه للأنصار :.

« إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع » قابل بين الكثرة والقلة ، وبين الفزع والأمن ؛ لكنه عبر عن الأمن بالطمع ، إذ لا طمع في مال إلا بعد الأمن على الحياة .

٢ـ قال بعضهم يصف منافقاً : ليس له صديق في السر ، ولا عدو في العلانية .

٣ـ روت السيدة عائشة عن النبي ﷺ أنه قال :

« عليك بالرفق يا عائشة ، فإنه ما كان في شيء إلا زانه ، ولا نُزع من شيء إلا شانه » .

٤ـ قال تعالىٰ : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾

[الأعراف : ١٥٧]

٥ـ قال تعالىٰ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٥] .

ملاحظة : الطباق يكون بين كلمة وضدها ، أما المقابلة فبين كلمتين أو أكثر مع ضد ذلك .

* * *

تمرين

ميِّز الطباق من المقابلة فيما يلي :

١ ـ إذا ضاق الأمر اتسع .

٢ ـ غضبُ الجاهل في قوله ، وغضب العاقل في فعله .

٣ ـ قال تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم : ٤٣ـ٤٤] .

٤ ـ قال تعالىٰ : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ [الفرقان : ٧٠] .

٥ ـ لا تخرجوا من عز الطاعة إلى ذل المعصية .

* * *

٨ـ حسن التعليل

حسن التعليل : أن ينكر الأديب علة الشيء المعروفة ، ويأتي بعلة طريفة من ابتكاره تناسب الغرض الذي يقصد إليه ، بشرط أن يكون تعليله معقولاً مقبولاً ، وابتكاره حسناً جميلاً ، وإليك المثال :

صعِد رسول الله ﷺ جبل أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فاهتز الجبل بهم ، فضربه رسول الله ﷺ برجله ، وقال : اثبت أُحد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان .

قال المحب النبوي الشيخ يوسف النبهاني اللبناني يعلل هذا الاهتزاز :

لا تلوموا لرجفة واهتزازٍ أُحُداً إذ علاهُ ، فالوجد داءُ
أُحُدٌ لا يُلام ، فهو محب ولَكم أطرب المحبَّ لقاءُ

فهو يقول : إنه اهتزاز الطرب ، لا زلزال الغضب .

* * *

تمرين

مَيِّز بذوقك صحيح التعليل من عليله ، وصادقه من كاذبه فيما يلي :

١ـ قال بعضهم في وردة حمراء لم يتم تفتُّحها :

سبقتْ إليكَ من الحدائق وردة ... وأتتــك قبــل أوانهــا تطفيــلا
طمعت بلثمك[1] إذ رأتك فجمعت ... فمهــا إليــك كطالــب تقبيــلا

٢ـ أبدى صنيعك تقصيرَ الزمان ففي ... وقت الربيع طلوع الورد من خجل

٣ـ قال الشيخ يوسف النبهاني معللاً حِرمان فاطمة رضي الله عنها من إرثها أباها ﷺ :

هــو حــي فــي قبــره ، ولهــذا ... حُـرِمـت مـن تُـراثـه الـزهـراء

٤ـ قال البها زهير :

لا تنكــروا خفقــان قلبــي ... والحبيــب لــدي حــاضــر
مــا القلـــب إلا داره ... دقــت لــه فيهــا البشــائــر

٥ـ لا يطلع البدر إلا من تشوقه ... إليك حتى يوافي وجهك النضِرا

٦ـ في وصف فرس أدهم أغر[2] :

وأدهــمَ كـالغـراب سـوادَ لـونٍ ... يطيــر مــع الـريــاح ولا جَنــاحُ
كســاه الليــل شملتــه وولّــى ... فقبّــل بيــن عينيــه الصبــاح

---

(١) أي : ضمت فمها تومىء إليك أنها تهيأت لأن تقبلك وتشمك .
(٢) أدهم : أسود ، والغرة : بياض في جبهة الفرس .

٧ـ في الرِثاء :

بكت فقدَك الدنيا قديماً بدمعها فكان لها في سالف الدهر طُوفانُ

٨ـ لاموا على صَبّي الدموعَ سفاهة لا يعـرفـون صبـابتـي وولـوعـي
فأجبتهم : وَعَدَ الحبيب بِزَوْرَةٍ أفـلا أرشُّ طـريقَـه بـدمـوعـي؟

* * *

٩ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه

إن الذوق السليم أصح ميزان ، لإدراك المدح أو الذم في الكلام : ومن اعتلّ ذوقُ لسانه أو وجدانه تعبت فيه الأقاويل ، ولم يُجده أن نسرف له في التقسيم والتعليل ؛ فلنبدأ بالأمثال ، ولندع القيل والقال .

١ـ يصيح بائع التين : أحلى من العسل يا تين ، فيكون كلامه هذا مدحاً خالصاً أصلياً ذا لون واحد ، هو وصف التين بشدة الحلاوة ، وليس في ظاهر تعبيره شيء من رائحة الذم أصلاً .

٢ـ أما إن تلاعب في لفظه وتأنق في تعبيره فنادى : ما عيبه إلا طيبه يا تين ، لم يشك أحد أن كلامه ذو لونين ، أما ظاهره فالذم والتعييب ، وأما باطنه فالمدح المؤكد حينما ذكر العيب وحصره في الطيب ، ولن يكون الطيب عيباً أبداً لكنه لما أراد أن يجذب الزبائن إليه أتى بهذا الأسلوب العجيب الذي تلاعب به ، وكأنه فيلسوف كبير ، لم يبق عليه إلا أن يصوغ كلامه بقياس منطقي قدير ، فيقول :

إن كان الطيّب عيباً في التين فتيني معيب .

لكن الطيّب ليس بعيب في التين فتيني لا عيب فيه .

بل هو مما تأكد رغبة الزبائن فيه إذ لا يحبون إلا الطيّب .

فكلامه يحتوي على قياس استثنائي معه دليله ، وإن كان لا يجيد أسلوب المناطقة المعقد .

٣ـ إذا قالت إحداهن إن فلاناً خطب بنتي ، فرفضته لأنه بخيل ، يحاسب على النقير والقطمير ، كان هذا ذماً خالصاً أصلياً ذا لون واحد : هو وصفه بالبخل الشديد ، وليس في كلامها شيء من رائحة المدح أصلاً .

٤ـ أما إن قيل لها لِمَ رفضتِ خطوبة فلان لابنتك؟ فإن من مزاياه كذا وكذا فقالت : لا مزية لفلان ، إلا أنه يشتري الزيت في الفنجان ؛ فإن كل أحد يفهم أن هذا الكلام غاية في الذم بالبخل والتقتير وإن كان ظاهره ذكر المزية والمدح ، ولكنها لم ترد إلا الهزء والسخرية ، فتلاعبت في الأسلوب ، وذمته ذماً مؤكداً أليماً .

* * *

تمرين

إن فيما يلي مدحاً أصلياً ، وذماً أصلياً ، وتوكيداً للمدح بما يشبه الذم وعكسه ، فميز بين ذلك :

١ـ لا عيب فيهمْ سوى أنّ النزيل بهم   يسلو عن الأهل والأوطان والحشَمِ

٢ـ فلان أكرم من حاتم ، وأشجع من عنتر .

٣ـ وما يك فيّ من عيب فإني   جبان الكلب مهزول الفصيل[1]

٤ـ هو بذيء اللسان غير أن صدره مجمع الأضغان .

٥ـ فلان فاحش القول حقود منافق .

٦ـ تكلم الخطيب طويلاً لكنا لم نفقه كثيراً مما قال ولا قليلاً .

٧ـ لا جمال في الخُطبة إلا أنها طويلة في غير فائدة .

٨ـ فتىً كملتْ أخلاقُه غير أنه   جواد فما يُبْقِي على المال باقيا

٩ـ لا حسن في المنزل سوى أنه مظلم ضيق الحجرات .

١٠ـ ولا ذنب لي إلا العلا والفضائل .

١١ـ بيض المطابخ لا تشكو إماؤُهمُ   طبخ القدور ولا غسلَ المناديلِ

١٢ـ « أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش » .

---

(١) لكثرة ضيفانه جبن كلبه لألفته بهم ، وهزل فصيله لشربهم لبنه . أو لأن أمه ذبحت لهم ؛ قال حسان رضي الله عنه :

يغشون حتى ما تهر كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل

١٠ـ أسلوب الحكيم

١ـ سأل سائل عن أم موسى : ما اسمها؟ فقلتَ : أم محمد ﷺ اسمها : آمنة .

لقد كنت حكيماً في أسلوبك معه ، وكأنك ترشده إلى أن الأولى به أن يحفظ تاريخ نبيه ، وأن لا يسأل عما لايَعنيه مما لا ينفع علمه ، ولا يضر جهله .

٢ـ كان القَبَعْثَري في بستان وبين يديه شجرة عنب ، فجرى ذكر الحجاج . فقال : سوَّد الله وجهه ، وقطع عنقه ، وسقاني من دمه .

طار النبأ إلى الحجاج ، فأحضره وهدده ، فقال : أيها الأمير ، ما أردت إلا عنباً أسود كان بين يديَّ ، فقال الحجاج : لأحملنك على الأدهم ـ يريد القيد ـ فقال : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب ـ يريد الجواد ـ فقال الحجاج : ويلك إنه من حديد ، قال لأن يكون حديداً (أي قوياً) خير من أن يكون بليداً .

فأنت ترى أن القبعثري حمل كلام الحجاج على غير ما يريده ، كأنه يقول : الأولى بالأمير أن يقصد هذا المعنى ، فهو أليق بالكرم .

٣ـ روى الترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش ، فيهم أبو جهل ، فقالوا : إن ابن أخيك يشتِم آلهتنا ويفعل ، ويقول ويقول : فلو بعثت إليه ، فجاء النبي ﷺ فدخل . . فقال أبو طالب : أي ابنَ

أخي ما بال قومك يشكونك : يزعمون أنك تشتِم آلهتهم ، وتقول وتقول؟! وأكثروا عليه من القول ، وتكلم رسول الله ﷺ وقال :

يا عم أريدهم على كلمة واحدة يقولونها ، يدين لهم بها العرب ، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية!!! ففرحوا لكلمته ولقوله ، فقال القوم : وما هي؟ وأبيك لنعطينّكها وعشرا!! قال : لا إله إلا الله ؛ فقاموا فزعين .

فهنا لم يتكلم رسول الحكمة ﷺ في الأمر الذي سألوه واجتمعوا لأجله : وهو أن يسكت عن آلهتهم أوْ لا يسكت ؛ لكنه لفت أنظارهم إلى أنّ الأجدر بهم والأنفع لهم أن يقولوا هذه الكلمة التي تضمن لهم ملك العرب ، بل سيادة العالم أجمع ، فذلك خير لهم من الحرص على أصنام وأحجار لا تبني مجداً ، ولا تضمن لهم عِزاً ، لذلك فرحوا أولاً لكلمته ، وحلفوا أن يستجيبوا لرغبته ، لأنه أتاهم مما يحبون ، وبشرهم بما به يرغبون ؛ فكان حكيماً في أسلوبه ، عظيماً في إرشاده .

والقوم وإن لم يستجيبوا له يومها بسرعة ، إلا أنه بهرهم أسلوبه ، وأخرسهم بيانه .

القاعدة :

أسلوب الحكيم : تلَقّي المخاطب بغير ما يترقب : إما بالإجابة على غير ما سأل مما هو أنفع ، أو بحمل كلامه على غير ما قصد إشارة إلى أن الأولى أن يقصد هذا المعنى .

* * *

تمرين

بيِّن نوع أسلوب الحكيم فيما يلي :

١ـ قيل لِمُسِنٍ : كن سنك؟ قال إني أنعم بالعافية .

٢ـ سئل العباس رضي الله عنه : أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال رسول الله أكبر ، وأنا ولدت قبله .

٣ـ قيل لتاجر : كم رأس مالك؟ قال إني صادق وأمين ، وأحب خدمة الناس .

٤ـ ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٨٩] . سألوا عن سبب اختلافها ، وذلك من علم الهيئة ، فأجيبوا بالحكمة في اختلافها ، وذلك أنها مواقيت للناس والحج ، ﴿ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [يونس : ٥] .

٥ـ قال: ثَقلتُ إذ أتيتُ مِراراً قلت: ثقلتَ كاهلي بالأيادي

قال: طوَّلتُ ، قلتُ أوليتَ طَوْلاً قال: أبرمتُ قلتُ حبلَ وِدادي[1]

٦ـ سئل بعضهم : ما ادخرت من مال؟ قال : لا شيء يعدل الصحة .

٧ـ لما توجه خالد إلى الحِيرة لفتحها أتاه واحد من أهلها ذو خبرة ؛ فقال له خالد : فيم أنت؟ قال في ثيابي ، فقال علام أنت؟ قال : على الأرض ، قال : ويلك كم سنك؟ قال : اثنتان وثلاثون ، قال أسألك عن شيء وتجيبني بغيره ، قال إنما أجبتُ عما سألت .

---

(١) الأيادي : النعم ؛ طولاً : فصلاً ؛ أبرمت : أضجرت .

٨ـ أحبتـــي حيـــن مـــالـــوا عـــن مـــواصلتـــي
تحيلـــوا يَـــدَّعـــون أن الـــذنـــب مـــن قِبَلـــي
قـــالـــوا : تنـــاسيـــتَ قلـــت : الـــروحَ بعـــدكـــمُ
قالوا : جفوت ، فقلت : النومَ من مُقَلي

* * *

١١ـ المبالغة

المبالغة : أن يُدَّعى لوصفٍ بُلوغُه في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً .

١ـ تحكم في جسمي النحول ، فلو أتى　　لقبضي رسول ضل في موضعٍ خالي
٢ـ لم يُبق جودك لي شيئاً أُؤمِله　　تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

فالأول غلوّ مستحيل ، والذي سوَّغه وجود « لو » الامتناعية كما في قوله تعالىٰ :

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١] .

أما الثاني فبعيد .

ومن الغلوّ والمبالغة ما أخرج مَخرج الهزل كقول بعضهم :

لـــك أنـــف يـــا ابـــن حـــرب　　أنِفـــت منـــه الأنـــوفْ
أنـــت فـــي القـــدس تصلـــي　　وهـــو فـــي البيـــت يطـــوف

ومثل قول كُشاجم في بخيل :

صديق لنا من أبرع الناس في البخل　　وأفضلِهم فيه ، وليس بذي فضل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه　　فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي
فلمـــا جلسنـــا للطعـــام رأيتُـــه　　يَرى أنه من بعض أعضائه أكلي
ويغتـــاظُ أحيـــانـــاً ويشتِـــم عبـــده　　فأعلم أن الغيظ والشتم من أجلي

فـأقبلـت أستـل الغَـداء مخـافـة   وألحاظُ عينيه رقيبٌ على فعلي
أمـد يـدي سِـراً إلـى سـرق لقمـة   فيلحظني شَـزْراً فـأعبَـث بـالبَقْـل
إلى أن جنَت كفي لحتفي جناية   وذلك أن الجوع أعدمني عقلي
فَجـرَّت يـدي للحَيْـن رجـلَ دجـاجـة   فَجُرَّتْ ـ كما جَرَّتْ يدي رجلَها ـ رجلي

* * *

١٢ـ التوشيح

التوشيح : هو بناء البيت على قافيتين يتم المعنى عند الوقوف على كل منهما :

١ـ قال الحريري :

يا خاطب الدنيا الدنية إنها	شرك الردى وقَرارة الأكدارِ
دار متى ما أضحكت في يومها	أبكت غداً تباً لها من دار
غاراتها لا تنقضي ، وأسيرها	لا يُفتَدى بجلائل الأخطار

هذه الأبيات من بحر الكامل ، ويصح فيه جَزْؤه ، أي حذف ثلثه الأخير فيكون هكذا :

يا خاطب الدنيا الدنية	إنها شَرَك الردى
دار متى ما أضحكت	في يومها أبكت غدا
غاراتها لا تنقضي	وأسيرها لا يُفتَدى

وإنما سمي توشيحاً لأنك لو ضممت إلى مجزوئه ما نقصته صح وصار له كالوشاح الجميل .

٢ـ اسلَمْ ودُمْتَ على الحوادث مارسا	رُكْنا ثبير أو هضابُ حِراءِ
ونَلِ المرادَ ممكّناً منه على	رغم الدهور وفُز بطول بقاءِ

ويقرأ مجزوءاً هكذا :

إسلَمْ ودمت على الحوا	دث مارسا رُكْنا ثبيرِ
ونَل المراد ممكنا	منه على رغم الدهورِ

١٣ـ حسن الابتداء

ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه : الابتداء ، والتخلص ، والانتهاء .

أ ـ فحسن الابتداء : أن يتلاءم مع المقصود ، ويلوّح من الأول بالموضوع ، من تهنئة أو رِثاء ، أو مديح أو هجاء ، أو شوق وحنين ؛ ويسمى هذا إن نجح « براعة الاستهلال » لأن البدء أولُ ما يقرع السمع ، فإن حسن وقْعُه وَقعَ السامع في أسره ، وأصغى إليه بسمعه وقلبه ، كما قيل :

لي في ابتدا مدح طه الهاشمي العربي   براعة تأخذ الألباب بالطرب

١ ـ قال بعضهم في التهنئة بمولود :

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وَعَدا   وكوكب المجد في أفْق العلا صَعِدا

٢ ـ قال بعضهم في التهنئة بالشفاء :

المجد عوفي إذ عُوفيتَ والكرمُ   وزال عنك إلى أعدائك الألمُ

٣ ـ قال بعضهم في الرِثاء :

حكم المنية في البرية جاري   ما هذه الدنيا بدار قرار

٤ ـ وفي الرِثاء أيضاً :

هي الدنيا تقول بملء فيها   حَذارِ حذارِ من بطشي وفتكي

٥ـ وفي التهنئة ببناء قصر :

قصـــر عليـــه تحيـــة وســـلامُ خَلعـــت عليـــه جمـــالَهـــا الأيـــامُ

٦ـ لما فرغ المعتصم من بناء قصره غنّاه إسحق الموصلي :

يـــا دار غيَّـــركِ البِلـــى ومحـــاكِ يـــا ليـت شعـري مـا الـذي أبـلاك

فتطير المعتصم وهدم القصر ؛ وكان هذا الابتداء القبيح سبب التشاؤم فالخراب .

ب ـ وحسن التخلص : جرت عادة الشعراء فيه أن يتقدموا بين يدي المديح بفخر أو بغزل ، أو وصف ربع أو طلل ، أو ذكر راحلتهم أو وصف ناقتهم ، ثم ينتقلوا ويتخلصوا بلطف ولباقة إلى مقصودهم بشكل لا تشعر معه بالانتقال لشدة التمازج بين ما قدموه وما قصدوه ؛ وفي هذا قالوا : إذا كان مدح فالنسيب المقدم ، وإليكم الأمثلة :

١ـ قال الشيخ عبد الغني النابلسي في قصيدة بديعة بدأها بوصف الروض ، أولها :

شبب الريح ، والسُّوَيْجع غنى والدجى راق ، والنديم اطمأنا

وانجلى الروض حيث نَقَّطه الطلّ فمـــالـــت غصـــونـــه تتثنـــى

إلى أن يقول :

ليت شعري متى تعود لوصلي مثـل مـا كنـتَ يـا حبيبـي وكنـا

كدتُ أقضي من الجوى فيك لولا مـــدح طـــه أشـــدو بـــه مطمئنـــا

٢ـ وقال ابن مليك الحموي :

وليس في ربة الخلخال لي أرب وخـاتـم الأنبيـاء القصـد والسُـولُ

٣ـ وقال ابن معتوق :

غُرٌّ من الدُّر لم تفضُل مباسِمَهم ... إلا سجايا رسول الله ذي الكرم

٤ـ وقال السُّبكي :

وإن سوّدتْ وجهي الذنوبُ فكيف لا ... أُبيِّضُ بالمدح الشريف صحيفتي؟

٥ـ وقال الأبوصيري :

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى ... أن اشتكت قدماه الضر من ورم

جـ ـ وحسن الختام : إن الانتهاء آخر ما يرتسم في النفس ، ويبقى في السمع ، فإن حَسُنَ جبر ما سبقه من ضعف وتقصير ، وإلا أنسى محاسن ما قبله ، كالإيقاع المختتم بنغمة ناشزة نابية ؛ وإليك ما يوضح هذا :

١ـ قال الشيخ يوسف النبهاني في همزية الألفية ، التي نظم بها السيرة النبوية :

قد أجزتَ المُدّاح قبلي فكانت ... سنة واقتدى بك الكرماءُ

فأجزني بما تطيب به نفسك ... فضلاً يا سمح يا مِعطاءُ

لست أبغي قدري ولا قدر شعري ... قدرَ جود المعطي يكون العطاءُ

وبحسبي صلاح ديني ودنيا ... ي وحسن الختام فيه اكتفاء

٢ـ وقال المعري :

بقيتَ بقاء الدهر بالكهف أهله ... وهذا دعاء للبرية شامل

٣ـ وقال ابن حِجَّة الحموي :

حسن ابتدائي به أرجو التخلص من ... نار الجحيم وهذا حسن مختتمي

اللهم أحسن ختامنا ، وأخلص لوجهك نياتِنا وأعمالنا ، وانفعنا بما علمتنا ، واشغلنا بما يرضيك عنا ، واجعل أرواحنا أفصح من أقوالنا ، ولا تؤاخذنا بعثرات اللسان ، ولا خطرات الجَنان ، وتوفنا على الإيمان ، وأنطق ألسنتنا عند الوفاة ، بشهادة أن لا إله إلا الله .

[كلمةَ التوحيد ديني فني عند وفاتي لاحظيني مُنّي
مليحة التكرار والتثني لا تعزُبي عند الوداع عني][1]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) ما بين معكوفتين للمؤلف.

المحتوى

الصفحة	الموضوع
مقدمة الكتاب	٣
الفصاحة	٤
البلاغة وعلومها	٦
١ـ علم المعاني	١٠
الكلام وأقسامه	١٢
١ـ الخبر: أقسامه	١٣
أغراضه	١٥
٢ـ الإنشاء وأنواعه:	١٧
الأمر	١٩
النهي	٢٢
الاستفهام	٢٤
الترجي والتمني	٣٠
النداء	٣٢
القصر	٣٥
الفصل والوصل	٤١
المساواة والإطناب والإيجاز	٤٥
أثر علم المعاني في البلاغة	٥٠

الصفحة | الموضوع

٢ـ علم البيان ٥٢
التشبيه ٥٥
أغراض التشبيه ٥٧
أنواع التشبيه ٦٠
١ـ تشبيه التمثيل ٦٠
٢ـ التشبيه الضمني ٦٣
٣ـ التشبيه المقلوب ٦٥
بلاغة التشبيه ٦٧
الحقيقة والمجاز اللغوي ٦٩
الاستعارة ٧٢
أقسام الاستعارة ٧٤
١ـ التصريحية والمكنية ٧٤
٢ـ الأصلية والتبعية ٧٨
٣ـ المرشحة والمجردة والمطلقة ٨٣
الاستعارة التمثيلية ٨٩
المجاز المرسل ٩١
المجاز العقلي ٩٦
الكناية ١٠١
أقسام الكناية ١٠٢
بلاغة الكناية ١٠٥
٣ـ علم البديع ١٠٦
المحسنات اللفظية ١٠٩
١ـ الجناس ١٠٩

الصفحة	الموضوع

اتهموا المطبعة لتفهموا ١١٣
٢ـ الاقتباس والتضمين ١١٥
٣ـ السجع والموازنة ١١٧
٢ـ المحسنات اللغوية ١٢٠
١ـ التورية ١٢٠
٢ـ الالتفات ١٢٤
٣ـ الاستخدام ١٢٩
٤ـ المشاكلة ١٣١
٥ـ مراعاة النظير (التناسب) ١٣٣
٦ـ الطباق (التضاد) ١٣٤
٧ـ المقابلة ١٣٧
٨ـ حسن التعليل ١٣٩
٩ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه ١٤٢
١٠ـ أسلوب الحكيم ١٤٥
١١ـ المبالغة ١٤٩
١٢ـ التوشيح ١٥١
١٣ـ حسن الابتداء والتخلص ١٥٢
المحتوى ١٥٧

* * *